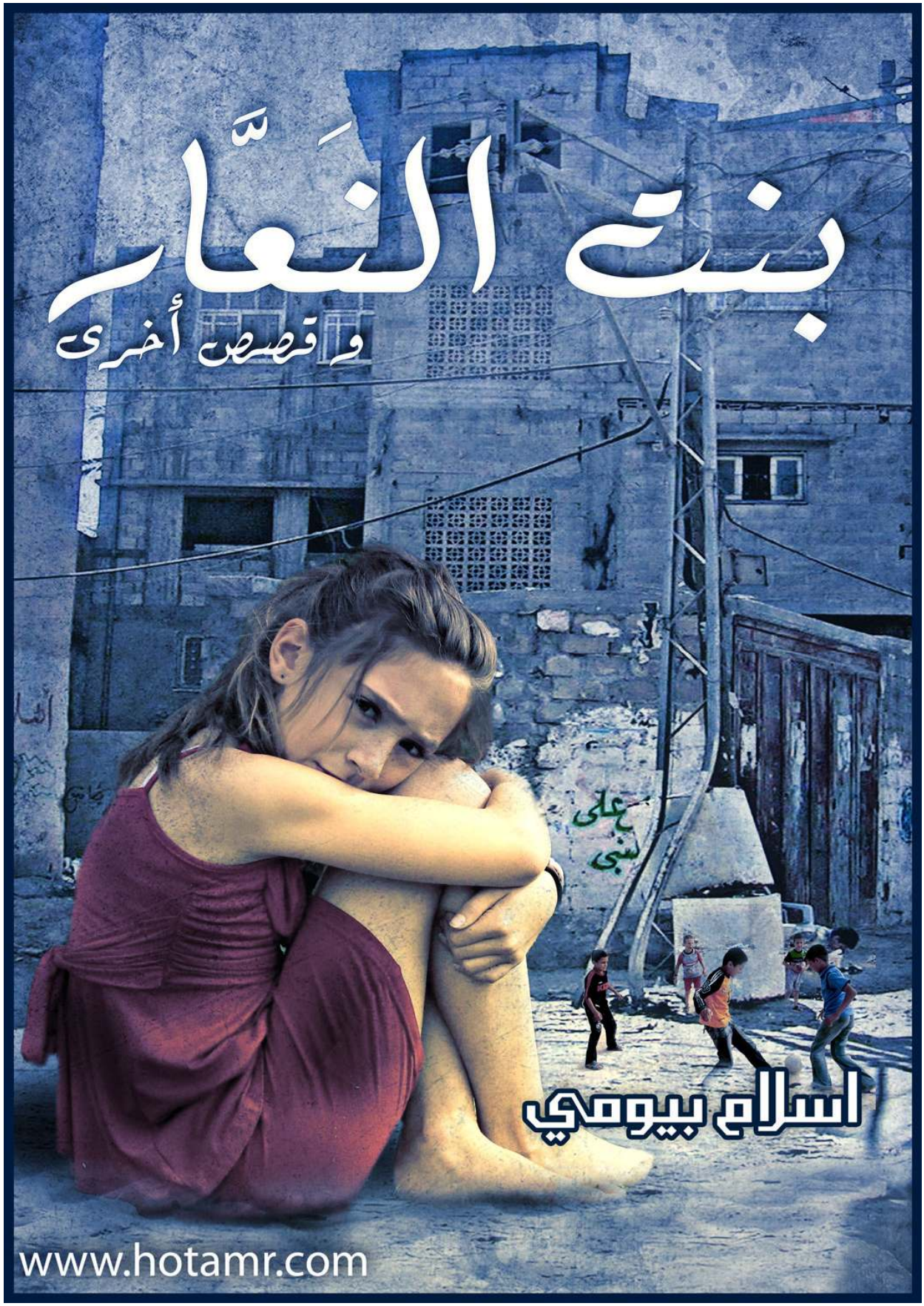

بنت النَعّار
و قصص أخرى
اسلام بيومي
www.hotamr.com

مقدمة الكاتب:

بسم الله

فيما يلي كلام ...مثله مثل كثير مما سمعت أو قرأت أو خطر على قلبك وأبدعه عقلك أو نطقه لسانك .
منه السهل ومنه الصعب ,منه العاقل ومنه ما هو أبعد ما يكون عن العقل ,منه المفيد_ وهو كثير_ ومنه ما يضر والله أعلم أن لا قصد مني في ضرر .
ولكنه رأيي ,فانتقي منه الصواب ما قرأت, وابتعد عن ما حذَّرتك منه, لكنك تعلم مسبقا ما يسر وما يضر .
وأعمل بمبدئي وعمادي أنِّي عهدت أن لا يوجد من لا يدري محتوى قلبه كلنا يعلم ما بقلبه فإن كان قلبك طيبا فأفعل كل ما يريحه وإن كان قلبك غير ذلك فلا تفعل غير كل ما يتعبه ويرهقه_ ولو أتعبك وأرهقك _ فإذا رأيت بعد ذلك تجد نفسك ما فعلت غير صواب وما ابتعدت عن غير كل فسقٍ وفجور .

اسلام بيومي

إهداء

إلي صاحب البسمة الجميلة والفكاهة الغريبة الهادئ الذكي

عمرو عبد السلام

الأعمى والساقطة

مذ أن تقرأ العنوان تظن أنَّها قصة وتظن أيضا أنَّها مُثيرة ولكنها مع الأسف ليست كما تظنها ولكنها على كل حال مقلقة....

بينما أنا في طريقي من الجامعة إلى بيتي...ركبت الأتوبيس والذي يحمل به طلاب الجامعة الذين لا يسكنون المدينة والذي ينقل ركابه من منطقة الكليات إلى الموقف والذي سآخذ منه ركوبةً إلى بلدي,ولكن الأتوبيس كانت جميع أماكنه مشغولة فإظطرت إلى الوقوف وذلك معهوداً في مثل هذه الوسيلة التي تشبه التروماي من الزمن الماضي القريب والذي لايزال موجودا في بعض المناطق .

ركبت ثم سار في طريقه وبعد دقيقتين تقريبا توقف ليقل أحد الأفراد...فنظرت فرأيتُ عصا تدخل أولاً ثم رجلا ممسكا بها يدخل بعدها ..وما أن ترى نظارته السمراء وعصاه المتحسسة حتى تدرك أن الرجل...(أعمى)..وكأن الرجل معتادا على الوقوف ..فإتخذ مكانا من الأتوبيس في طرقته الواسعة ووقف فيه بلا حراك , إذ أنه مع عدم علمه بإنشغال الأماكن أوعده إنشغالها فهو لا يحاول حتى أن يعرف.. وهذا أمر طبيعي إذ لا يمكنه تحسس المواضع ليرى_أقصد ليدرك_ ما إذا كانت مشغولة أو فارغة,حتى يكفيكه حرجا كبيرا من الرجال ولعناً وسبًّا وفيراً من النساء في بعض الأحيان.

-ولكن جميع الركاب تقريبا كانوا من الشُبَّان الجامعيين _وأنا من ضمنهم_ ولو كنت جالسا على مقعد لوقفت وأجلست الضرير لكن ما باليد حيلة,ولك أن تتساءل كيف لم يفكر الشُبَّان في إجلاس الضرير...ولكن واحدا منهم لم يفعل.

ثم توقف الأتوبيس ثانية لتركب.....(ساقطة)...فلم أجد لها وصفا غير هذا الوصف, فقد ركبت بجلبة وضحك كثيرين ويظهر أن أحد الشبّان يعرفها وهي تعرفه فناداها وقام لها وأجلسها ..فبدآا بالسلام وتبعاه بضحكٍ كثير لم يكُفَّا عنه طوال الطريق.

ومنذ أن تراها تعلم أنها ساقطة فقد اتَّخَذت ملبساً لا يستُرُ لها سوءةً ولا يُخفي أي من أجزائها عن عين ناظر, فقد ملأها ملبسها بالمرتفعات والمنخفضات ...بصراحة والله أنا لم أدقق النظر بها وعلى العموم أنا لم أكن أحب مادة الجيوغرافيا.....ولكنَّها صادمة .... وقد رأيت ذلك في عيون الشُبَّان فما أن تنظرها حتَّى تجد جفنيك انفتحا حتى لا يكادا يغلقا ثانيةً ..لا من جمالها فهي لم تكن جميلة_فأنا لا أراها جميلة_ولكنك تُصدم حين ترى عينيك ما لا يجب أن تراه عين.

وأنا بين الأعمى والساقطة...لأولهما آسفٌ.. وللثانية لاعنٌ محتقر, ولا أدري ما غيَّر أحوال الناس إلى هذه الدرجة وربما لم تتغير ولكن تصادفت أفعال غير متصلة في وقتٍ قصير غير

مناسب...لكن ما أنا متأكد منه أنه لا يجب أن تكون على هذه الطريقة ولو حتَّى كانت مصادفة..لأنني أرى أننا ببساطة من نضع شكلا للمصادفة... من نصنع لها روحاً وحياة... نحن من نشكلها بأيدينا.

وربما لم أكن أهتم بهذا الموقف لو لم أمر بشبيه له من قبل في زمن أظن نفوس أهله كانت أكثر إعتدالاً...منذ سنوات قليلة ...ست أو سبع سنوات ولم أكن صغيرا لدرجة أن لا أفكر وأنقد ولكنها عادة تعودتها منذ الصغر .. كنت مع أبي _لا أتذكر بالضبط من التفاصيل سوى أنني كنت معه في الأتوبيس ودخل رجل أعمى ومعه مُرافِق..فقام شاب وأجلس الأعمى مكانه.... لكن اليوم أرى صورةً لم أتعود عليها .

فكُنَّا بمجرد أن نسمع هذه الكلمة ولو لم نر حاملها ...(كلمة أعمى)..تنطفي معالم وجوهنا ...تنطفي البسمة والضحكة ...ينطفئ الرضا لو كنا راضين ...والحماسة إذا كنا متحمسين ...ينطفي الضيق إذا سمعناها...ويهدأ الحب ويتعقَّل ...وتهدأ العواطف بكل معانيها..إذا سمعناها.....ثم تُسبغ على وجوهنا لمحة من لمحات الحزن...ولهفة من لهفات القلق وإذا بيدٍ خفيَّة تُغْلِق عيوننا للحظة ....هذا ما كُنَّا نشعر به ....

وهل تعلم بماذا نشعر إذا سمعنا كلمة ...(ساقطة)....لم نكن نسمعها كثيرا فما إن تقال حتى يعم صمت للحظات قليلة..ربما كنا نشعر بصدمة من الكلمة..ثم يشعر كلٌّ منا بحزن من نوع آخر وقلقٍ من نوعٍ آخر ..ولكنها نفس اليد الخفية تُغلق عيون بعضنا ليسأل ربَّه النجاة من هذه الكلمة ومتعلِّقاتها ...ذلك ما كنّا نشعر به أنا ومن صادقتهم من طفولتي إلى ما بعد الثانوية من المعتدلين..كنا نتبادل الآراء وكان كل منا يشعر بذلك وإن لم يكن متدينا.

والحق أقول ...لم نكن جميعا نشعر بذلك تجاه الساقطة,فتجد في كل زمان من يقدرها ويعظِّم شأنها ويحقِّر ما دونها.

ولكن طبعا المعتدلين من أصدقائنا يعطونها من التحقير كمًّا هائلا ربما يزداد عمَّا تستحق ,والبعض الآخر تتضارب مشاعره تجاه الكلمة .

لكننا اليوم أُصِبنا بفتور في نصف مشاعرنا ....وتورَّمت مشاعرنا في نصفها الآخر الخاطئ..

هذا من وجهة النظر الإنسانية والأخلاقية...فدع عنك النظرة الدينية!! فإن شرحها يطول ويطول..!!

عانيت كثيرا من التفكير إلى أن وصل الأوتوبيس فنزلت الساقطة ونزل الأعمى.. ونزلتُ بما حُمِّلت من عواطف متضاربة متشاحنة....ومشى كلٌّ في طريقه.

_ بنت النعَّار _

مبتسم..

هادئ النفس..

ماشيا ً مع صديق لي في وسط البلده ..

نتحدث عن الدراسة وأخبارها...وأخبار أصدقائنا ...

إلى أن مررنا بمجموعة من الأطفال في الشارع

أولاد ...وبنات لا يزالون في مرحلة الطفولة

أنقياء أبرياء ...أو هذا ما أعتقدته أنا..انهم أنقياء....لكنهم بلا شك أبرياء

منهم فتاه تجلس على سُلَّم بيت من البيوت ..إلى جانب الأطفال اللاهية اللاعبة...

وفي يدها...(مصاصة)...

أطفال.....والأطفال أحباب الله

وأنا وصديقي نحاول المرور من بين الأطفال...وتمتلئ نفسي غبطةً

لأنهم لايزالون في مرحلة...لن أُوردها أنا مرةً ثانية...

وأنا أقول في نفسي...إنعموا بها ما استطعتم...

في هذه اللحظة إذا بي ألمح ولداً من شلة اللاعبين يجري بسرعة

فيمد يده ويخطف من الصغيرة ما كان بيدها

وهي بالطبع لم تحاول الحاق به لأنه كان مسرعاً

وإنما وقفت من جلستها فسبته فقالت:يا ابن المرأة

الـ!!!!.....(تيييييييييييييييييييييييييت)

تُعني بها....(يا ابن المرأة الزانية)...

ولم أشعر إلا بهذه الصاعقة تنطلق من فمها لتُطْبق على أذناي حتى كادت أن تخترقهما

وصديقي يشُدُّني من ذراعي وأنا متسمِّراً مكاني...كأنما أُلصِقَت قَدَمَاي بالأرض

ثُم ابتسم صديقي بضحكة خفيفة وشدَّني

وأنا عاجِبٌ مُستعجب

ولا أدري..متى تحول بعض أحباب الله ...إلى ألسنة شياطين؟؟؟؟

مشينا في طريقنا إلى أن رَمى صديقي في أذناي كلمة ألهبت حيرتي

فقال.:ليس ذنبها!!!!

فنظرت إليه في حيرةٍ وتعجب

قال:أتدري من هذه الفتاه..؟؟؟

قلت : ومن هي؟؟

قال..:هي بنت فلانٍ ابن فلان..الذي يسكن شارعنا

ثم أخبرني صديقي أن أباها لا ينقطع عن سبَّها وسب أُمها بهذه الكلمة بمِلئ علوّ صوته

حتى أنهم يسكنون في آخر الشارع فيسمعهم المار في التقاطع في أول الشارع

وأنا ولا أدري كيف تنشأ الصغيرة فتتعود سب أمها ووصفها بالزانية وهي بإبنة الزانية

وممن...من أبيها.....من النعَّار المشنوع...

حينها أدركت أن لاذنب للصغيرة في إلتـــواء لسانها الصغير وفساد نفسها المسكينة...

ويقظة عينها على ما لا يعية من هم في ضعف عمرها ويزيد

وكما هو الحال في طبيعة الأطفال أن أحدهم لايحب أن يرى نفسَه أقل من غيرِه

فلا أجد عجبا......ً حينما ترى الطفلة أمهات جميع أقرانها....... زانيات.....

أقصد...تيييييييييييييييييييييييييييييييييييييت ــــــــ ات .

_ كأنِّي بالدنيا لم أكن _

قلَّ أن ترى أحداً من الناس تعوَّد ما تعودته أنا في أحلام منامي من الوعي والدراية بأني في حلم...كما لم يتعود أحد الإرادة في أحلامه...الأمر كأنك تحيا حياة طبيعية تماما...مع علمك أنك في حلم....

كم كنت أراها نعمة كبيرة..لأحيا عالما خاصا بي ..مليئا بالأعاجيب

كما رأيتها نعمة كما رأيتها أو بالأحرى حولتها إلى نقمة..وما أبشعها نقمة....!..كان ذلك منذ عامين

_ فترة وأنا على خلاف مع صاحب لي , ولم أدر أبدا ما سبب تغيُّر معاملته لي..إلا أني لم أُغير من معاملتي له لأن هذا مبدءاً لي في معاملتي لأصدقائي..

لكني اكتشفت فيما بعد أن زميلاً لنا حاسد حاقد..غالى قلبه في الحسد حتى امتلأ وفاض ففرق بيننا .

بنميمة لكن بذكاء ..والحق أنَّ ذكاءه أعجبني..!

ولكن أحداً منا لم يفكر أن يُكَلِّم الآخر ويسأله ببساطة..هل قلت أو فعلت ذلك؟؟ وبالطبع سيرد الآخر :لا لم أفعل.

لأن هذه كانت الحقيقة.....والحقيقة الأخرى أن الحاقد هو من ألَّف القصة فأحسن تأليفها ...

كما قلت لم يفكر أحدنا أن يسأل الآخر بكل ببساطة وهدوء..

بالطبع انشغلت بالموضوع إلى أن استقر علمي بنميمة صاحب القلب الحاقد .وقد امتلأ قلبي غضبا شديدا _وليس كرها ً_وعزمت على أني إذا كان يوم غد أذهب إلى صاحبي ..فأخبره بنميمة الحاقد ونصطلح معا وترجع الأمور إلى ما كانت عليه..لكن الأمر لم يكن أبدا بهذه السهولة.

فإذا كنت من ليلتي هذه ..إذ أراد سبحانه وتعالى أن يُعَلِّمْنِي شيئا جليلا.

دخلت في نومي ولا أدري أنِّي اجتزت بابا صَعُبَ عليَّ الخروج منه..في ليلتي هذه..فإذا دخلت في نومي أوصد ذلك الباب حتى وجدتني في حُلم ليس له بابا للخروج..وأحسست أني محبوسا في ذلك الحُلم.

فإذا أغلقت عيناي لأدخل في نوم يبدو لك وللرائي أنه نوم عميق..أجد نفسي من الناحية المقابلة أفتح عيني وأنا على يقين أني بدأت حلما جديدا ..لكنه لم يكن أبداً مثل باقي الأحلام..وجدت به شيئا تعودته في حياتي العادية.

لكنه غريبا لم أتعوده في أحلامي ..وجدت حيرة وغضب....

لم أجد عجبا في أن أجدني غاضبا على الحاقد الحاسد....إلا أنِّي كنت ساخطا ً مغاليا في السُخط والغضب

وجدته في حُلمي أو رُبما خُيِّل لي كما نتخيل الشياطين في كوابيسنا...رأيته شيطانا بشع الخلقة...لم أفهم لخلقته معنى..إلا للسانه الطويل الذي كان يُلامس رُكبتيه..وقد اعجبني تخيلي له بهذا الشكل...ولأني ظننت أنه استحق ما هو ابشع ...لم أعي إلا أن عدوي..متمثلاً أمامي في صورة شيطان..وحينها وجدتني أُفكر في شئ خطير لم يرد بفكري من ذي قبل.....كنت واعٍ أنِّي في حلم ...فقلت في نفسي..لن يضر إذا فجرت غضبي فيه..في هذا الشيطان الحاقد الذي ضاقت عليه الدنيا فلم يفرق إلا بيني وأعز أصدقائي..

وجدتني أنساق وراء وراء تحريضي ...وجدتني أندفع اندفاعا إليه فنُطرح معا على الأرض ورقبته بين يداي خنقته بكل غلِّ وانتقام ..وأنظر في عينية فلا أجد أي مقاومة..ولكن نفسي لا تزداد إلا غضباً وسخطا..فأخنقه أكثر وأكثر وأكثر..وتمنيت لو تدوم هذه اللحظة طويلا...وتمنيت لو أنَّه يُعَلَّق بين الحياة والموت فترة طويلة فلا يموت بين يداي إلا بعد أن أنتقم لكل لحظة ضيق سببها لي..

لم أكن إلا أسنانا تنضغط حتى كادت أن تتهشم..أو حسبتها تتهشم..ويدان تضغطان على رقبتة شيطان لعين فتضغطان بقوة اضعاف أضعاف ما يكفيه ..وعينان جحظتا حتى لا يظن رائيهما

أنهما ستعودان مكانهما مرة ثانية..حمراوتان ..كما لو تظن أن عروقهما البارزة سينفجرن .

ويرى تحته وجه ...بشع الخلقة ذو لسان طويل...

يهدأ رويداً رويداً ..وعينان تغلقان شيئا فشيئا إلى أن بدا أنهما لن يفتحا ثانيةً ...لأن صاحبهما ...فارق الحياة

ثم لا أتركه إلا بعد أن تأكدت أنه مات ..فتخف شدة قبضتي شيئا فشيئا..

ليس لأني اكتفيت من انتقامي..!!!.لكن تعبي غلبني ...شعرت بتعب لم يمر بي مثله من قبل..

فأُلقي بنفسي إلى جانبه.....ثم أفيق من تعبي.!!!! فإذا بي لا أرى شيطانا..؟؟؟

ولكن أرى إنسان..

اقتربت منه ببطء وبدأت نفسي ترتعد..اقتربت منه..نظرت وجهه لكنه لم يكن بشعا قط..

وجدت وجها مات مخنوقا..تبدو عليه أثر الخِنقة..

نعم...إنه انسان...قتلته بيداي...انا من قتلته لكنه ليس هو الشيطاااااااااااااااااااااااااااااان.....

إنه بشر.....بشرٌ ملك...بل ملك..جميل...شديد الجمال....رفعت يدي ...اقربها منه بهدوء لكنهما ترتعدان لا تهدءان عن الارتعاد....

اقربهما من خده الأبيض الجميل ....شئ لا أذكر اسمه سقط من عينيّ ..وشفتاي ترتعدان..وقلب ينتفض فيزلزل الأرض تحت ركبتيّ ...وصدري يزداد مقاومةً لشئ لا يمكن التغلب عليه...

ويل لك أيها الملعون البائس.....!!!! ماذا فعلت؟؟

وأنا أرد..:قتلت الشيطان الحاقد..,ولا أعلم من يرد عليَّ..:أي شيطان..؟؟!

فأنظر إليه ولا أستطيع الكلام ...وأبحث ملء جهدي وطاقتي على اجابة ...وعيني ّ َ حائرتين بين النظر والدموع

كأن الكلمات ذابت بين شفتاي وعلى لساني...او ربما لم يكن لي لسان..على كل حال اختلط عليَّ الأمر..

نعم..فهمت..

ثم علوت بصوتي ....فهمت....أسأت الظن به...! ليس هو الحاقد...وأبكي ...ليس هو الحاسد..

ثم أسمع :نعم..أسأت الظن

وأنا أرد..:الحمد لله إني في حلم ..نعم أنا في حلم..ولم أقتل احدا

أسمع..:نعم أسأت الظن....لكن..انت متأكد إنك في حُلم؟؟

_وأنا أبكي وأنتحب..لا أعلم..كنت في حلم أول الليل لكنه طال ..وأظلم

تلك الفكرة المشئومة..ساقها إليَّ غضبي...ثم تخلى عنى الآن حين علمت أني أخطأت وأسأت الظن

مر بي ليلة ..كلها بكااء وانتحاب وبكاء فإنتحاب....ليلة كاملة...حتى تمنيت لو لم أكن بالدنيا...

وأدعو الله أن أكون بالفعل في الحلم...حتى ظننت عندما طال أني في الحياة ولست في حُلم...ثم بدأت في الإعتذار للقتيل تارة...فأقول له..:سامحني كنت فاكر نفسي بحلم...وأبكي وأنتحب!!!!

ولله تارة...سامحني يا رب ..كنت فاكر نفسي بحلم..!!!

حتى أغرقتني الدموع و ملكني الخوف والضعف والندم...ثم..

فتحت عيناي لأصحو من نومي ...

ذهب الحلم..لكن الخوف والضعف والندم لم يتركني.

وإذا بالدموع تسقط من عينيَّ كما تمطر السماء في ليلة مظلمة مثل ليلتي المظلمة هذه..

وأنتحب وأبكي ..كما لو كانت حقيقة..ثم أردد...الحمد لله الحمد لله...

أسأت الظن به...علمت ذلك...ومن هذه الليلة لم أكره شيئا مثل كرهي لسوء الظن

ذهبت لصديقي صالحته دون أن أراجع ما مضى ...فسامحني ولم نشغل بالنا..من السبب..

واليوم ..أنا من يُساء الظن به..

وأنت وحدك يا ربِّي من يعلم أنِّي مظلوم..

فإن لي عندك حاجة قد أودعتك إياها برضاك...وأرجو منك وحدك أن تردها لي..برضاك

ولا سبيل إليك إلا برضاك وكل سبيلي برضاك وغير سبيلي برضاك

أرجوك...ان تُعلِم من أساء الظن بي أنِّي مظلوم...لكن يا رب ...لا تُريه من العذاب ما أريتني إياه

سُقها إليه بهدوء وببساطة حتى يفهم...

وإن لم يفهم فإصرفني من ناظره ...كأنِّي بالدنيا لم أكن...حتى يرتاح وأرتاح

وأنا في الإنتظار يا صبور.

أصمٌّ أبكم

عجبا لهذه الحياه , تُفرحنا..فترسم على أفواهنا بسمه عريضة

ثم لا تلبث أنا تصفعنا على وجوهنا صفعة قوية

حينها ...حتى القوي...لا يقوى على منع

ارتجافاته..ودموعه..ثم يغرق في بكاااءٍ مرير

لا تقوى على تحمله أي نفس..ولا تسلم منه هذه النفس بغير تأثُّر واضح

فإذا مرَّ بعدها بما أعتقد أنه يفرحه...او سمع ما يبهجه..أو رأى ما ينعش قلبه ويسعده.....

تراه لا يبتسم

يقاوم الإبتسامه بكل ما أوتي من قدره...ويا لها من قدرة هائله

لكن...يا لها من إبتسامه قوية لدرجة أن تعجز عن منعها هذه القدرة العظيمة

فلا يستطيع منعها...فيبتسم لكن بصعوبة,..... ويبتسم لكن ببطء

ولا يكد يُتِم بسمته إلا وقد سبقتها دموعه إلى موضع نهاية بسمته من خدِّه

ولا تكد تستقر في نفسه إلا وتدفعها ذاكرته دفعا قوياً إلى جُرح لم يكد يلتئم

فيبكي ويبتسم معاً

لأنه تذكَّر بسمة شبيهه ببسمته هذه ,غلت عليه لأنها غلت على الدنيا فلم تفرط بها بسهولة

لأنها لم تكن رخيصة... لأنها تكلَّفت حُرْقةً لا تُقَدَّر.. ودموعا لا عدد لها

قد بلاني الله بالتفكير والتعب

وليس بيدي أن أُغلق أبواب عقلي ونوافذه أمام ما أسمعه وأراه

لكنه القدر...لكنه الحظ...هما ما يدفعني دفعا غير هيِّن لأمر بمثل هذه المواقف

ومنها هذه القصة :

يوم عادي ...أو أعتقد أنه يوم عادي

في طريق ذهابي للجامعه ومن الطبيعي أن تقابل من الناس عددا لا يعد..

خصوصا في وسائل المواصلات..أشكالا وألوان من الناس تجلس إلى جانبهم عن قرب

وهو قدر..لا إختيار لنا فيه ولكنه تدبير حكيمٍ مقتدر

ركبت الوسيلة ....وأنا كعادتي منشغل مفكر

ولم يخرجني من انشغالي وتفكيري المستمر سوى رؤيتي ثلاث صبايا في نفس الوسيلة

...ثلاث جميلات يلبسن لبس طالبات..ولا عجب أن يلفتن إنتباه جميع الركاب لأنهن جميلات

والمعهود أن الجمال مُلفت في بني البشر وغير بني البشر

والحق أنهن جميلات جدا يبدو عليهم الأدب والإحترام

وأنا ظننت بداية الأمر أن صمتهم بسبب هذا الأدب والإحترام

مر الوقت إلى أن كنا في منتصف الطريق تقريبا ..وكنت قد إنشغلت عن الجميلات

وإذا بعيني ترى !!!

ترى إحدى الجميلات تكلم الأخرى...ولكن بلغة غريبة..؟؟؟؟!!

على الأقل غريبة عني ..

للأسف ...أدركت بعد فجأتي أنها لغة الصم.....ومن الطبيعي والحزين أن نضيف لها كلمة البكم

وما لبثن إلا واشتركت معهم الثالثة في الحديث بلغتهم الحزينة!

وأنا في مثل هذا الموقف....مدهوش؟؟حزين؟؟نادم!؟؟ مكتئب؟؟..لا أدري

لا أدري ..ولكن شئ واحد أحسست به ..ربما يكون غريبا لكني كنت متأكدا منه أيضا

فقد أحسست بالضعف...لم؟؟لا أدري

الحق أنِّي لم أتعود أن أُعطِيَ ما حُرِمَهُ غيري ..ومع ذلك لم أر فارقا ...مع إن الفارق كبير....!

حينها ترى أن لا قيمة لسمعك ولا للسانك..لأن غيرك إستغنى عنهما

حينها قد تشعر بضيق لأنك ترى جمالاً إستحال بقدرة من خلقه _وحده_ إلى إعاقة

حينها تشعر بالعجز لأنك سمعت..كأنك لم تسمع .لأنك تكلمت كأنك لم تقل شيئا ..لأنك أُعطيتها لكن لم تقنع

حينها ترى العدل يُساوي بين سامعٍ وأصم ..وبين مُتكلم وأبكم...وياااله من عدل

وتصور مدى النعمة إذا فُقدت منك هاتين النعمتين النقمتين _إذا جاز وصف نعمة بنقمة في حين عدم استعمالها_حينها لا تسمع ضوضاء ولا تتكلم إلا بغناء

حينها تتكلم فينصت لك الجميع

حينها تسمع فيَصْدُق ويجيز لك كل قائل

يا لها من نعمة ويا له من جمال وأجمل ما به أنه

أصمٌ أبكمٌ.

عشر سنوات لا تكفي!!!

من أول تهتم لأمرهم في حياتك؟

ربما يكون والديك..و إخوانك أو بعضهم أو بعض أخواتك...إن كان لديك إخوة أو أخوات..

...وذلك بحكم القرابة ..فقد تكون ليست عن إقتناع في بعض الحالات..

ولكن أول من يخطر ببالك بعدهم....صديق حميم مقرّبٌ إليك.وقد لا يخطر ببالك أول الأمر إذا سُئلت هذا السؤال..والديك ولا إخوانك..وهو ما يحدث في الغالب..

وتفسير ذلك سهل..فلو أنك تأملت الأمر فوالديك _وإن كانوا أفضل من في الأرض_ إلا أنك أُجبرت على قبولهما مضطرٌ لهما منذ أن وُلدتْ و إلى يوم وفاتك. وكذلك إخوانك فهم لك دون رغبة ولا إختيار..ومع ذلك أنا أعْلمُ تمام العلم أنك لو خُيِّرت الآن لما أخترت غيرهم إخوةً وآباء.

ولكن مع الصديق الأمر يختلف.. فيتغالى في الإختلاف....فتقابل في حياتك من ضمن من تقابلهم مئات الأفراد وتنتقي هذا أو ذاك خدن لك وصاحبا بتمام رغبةٍ منك..تختارهم كما

أردتهم وهم يختاروك تباعا دون إجبار ولا إضطرار.فيقبل كل منكم الآخر لمزاياه وبعيوبه وعلى ذلك تشبع رغبتك في الإنتقاء والإختيار والتأفف من آخرين ورفض آخرين .

_راودتني مثل هذه الأفكار في مثل ساعتي هذه هادئة مستقرة ولكنها الآن تضطرب وتعصف في رأسي بين شتات ومتفرِّقات ومتضاربات.فهذا الإبن _ونحن جميعا أبناء_ لو علم أنهم _أبواه وإخوانه_ إضطروا هم أيضا إلى قبوله راضين.. كل الرضى..ولم يناقشوا مناقشة القبول هذه بأذهانهم..ولم ترد هذه الأفكار أصلا بأذهانهم ولا أراها واردة ما تقدمت أعمار.. إلا قليلا..

ولو يعلم أيضا أن من إختارهم أخدانا قد لا يتحملون منه أنصاف أنصاف ما يتحمله أبواه وإخوته منه وإن تحملوا منه فلا أراهم به عاطفين لينين. وقد يفضلهم على من هم أقرب إليه وأولى ...وقد يعاملهم باللين واللطف بما لا يعامل به أبواه...وأنا لا أدعوه أن يتمرد على أصحابه لكن أطالبه بمساواة من هم أقرب إليه وأولى بمن هم أبعد عنه أكثر مما يعتقد أنهم أقرب إليه .....وذلك عن تجارب عاصرتها مع أكثر من زميل لي...

وكم يعلم هو عن صديقه؟؟

وكم يعلم عنه صديقه؟؟.....وكم يعلم عنه أخوه.....

شتَّان

وكم عاشر أخدانه من الأيام والشهور والسنين وكم قابلتهم سويا من المشاكل والصعاب..وكم بذلو من الجهد معا ما لا تنسيهم إياه السنوات الطوال..وكم ألفوا لبعضهم البعض من الحديث تلو الحديث و كم توالت لهم الضحكات تلو الضحكات...ولا أرى ذلك مُعاصرا في زمننا هذا كما كان مما سمعت من ذي قبل..

_راودتني هذه الأفكار حين سألني صديقين لي أن أنصف بينهما..فلام أحدهما الآخر أنه لم يسأل عنه عندما كان الأول مريضا في بيته ولم يحضر للجامعه..

_فرددت عليه مسرعا ..حتى أُطفي ثورته...(لعله كانت عنده ظروف...ربما كان رغما عنه.....)..

ورد الآخر مسرعا..مصدقا.. مقسما أيمانه أنه كما قلت كان مشغولا بأمر من الأمور ولا داعي لذكره.

ثم أصطفيا ....ثم سألت أحدهما.:.متى عرفتما بعضكما البعض هل أنتما من نفس البلد ؟؟..._أُعني..أن صداقتهما قديمة.._قال لا ولكننا تصادقنا منذ بداية دخولنا الجامعة..العام الفائت..!.....(وكنّا في بداية العام بعد الفائت..يعني لمّا يتجاوزا العام بشهر..)

ثم تركاني هادئين ....وتركاني مثتثـــارا...

عام!!....هل يكفي عام حتى تصنع صديقا؟

ودار في نفسي عتاب طويل.فلي من الأصحاب من لم أسأل عنهم منذ زمن وكانت بداية معرفتي بهم منذ حوالي عشر سنوات منذ بدايات الطفولة إلى الآن..إلى بدايات الشباب.

عشر سنوات زمن طويل..لكنني مع ذلك لا أصادق منهم أحدا حق صداقته...مجرد((صحوبية مدارس..)) كما نقولها بالعامية.بعضهم يسأل عنّي ولكنني مع ذلك لا أسأل عنهم... إلا قليلا... .ولا أزور أي منهم وإن زارني_وكثيرا ما يفعلون_...ليس ذلك عن عمد ولكن من الممكن لأنني منشغلا بأمور كثيرة ألهتني عن واجباتي الإجتماعية.

فهل أنا مذنب؟

وإن كنت فلا أملك من دفاع سوى أني أرى أن عشر سنوات لا تكفي...حتى لأن تصنع صديقا ..لا تكفي لإجتياز الإختبار...نعم إنه إختبار الصداقة ....ذلك الذي لابد أن يجتازة كل منا نحن الإثنين...أنا وصديقي....

نعم....عشر سنوات لا تكفي ...فلا أذكر محنة وقفت فيها إلى جانب صديق..أو زميل..لا أذكر أصلا إن كان أحد أصدقائي مر بعصيبة من الصعاب يوما ما...كما لم أمر أنا أيضا بمحنه مؤثرة.....فبالتالي لم يقف بجانبي أحد في تلك المحنة التي لم أمر بها..!

ولكنها تلك المشكلات البسيطةالتي تجذبك شيئا فشيئا بعيدا عن الحياة..وتدفعك في دوامة التأمل والفكر والتشاؤم أحيانا أو غالبا....فتدخلك بها وتنغلق بعدك فتبقى بها وحيدا..منتظرا الصديق الذي لم تصنعه بعد...حتى ينقذك منها..

فأسمع نصيحتي ولا تنتظر من يصاحبك ...لا تنتظر منه أن يخلص لك...لأنه لن يفعل إذا لم تفعل.....كن صديقا وفيا يكن أخدانك أوفى الناس..وكم سمعنا كلاما مثل ذلك لكننا لم نكن نعيره أي إهتمام....ولم نصدِّقه إلا بعد أن جرّبناه وأدعو أن لا يكون الأوان قد فات على تطبيق ما سمعنا مثله مرارا وتكرارا...وما لم نفهمه إلا الآن وما نأمل أن نطبقه على أكمل الأوجه ....

ولا أرى عيبا في أن يكون هناك حدودا بين الناس...وذلك ليقيني بوجوب وجود حدود بين الناس يمتنع على كل منهم أدبيا..وأخلاقيا وإنسانيا ودينيا أن يتعدَّاها..وإن كان من أقرب الناس إليه.

.ولو إلتزم كل منّا بذلك فإنّي أرى سوادا لمحبةٍ محسوسة غير منطوقة.وهي بالغالب أقوى وأكبر.

فما رأيك..إلى أي مدى يجب أن تكون تلك الحدود؟

وهل تكفي عشر سنوات حتى تصنع صديقا؟

وإذا كانت حقًّا لا تكفي...فكم يلزم حتى تُعِد حبيبا؟

إلى متى..؟

كيف أبتسم في وجه من أساء إلي؟

كيف أسامح من لم يسامحني من قبل ...؟

يقابلني.....يبتسم كأنما رأى حبيبا....وأنا أبعد ما أكون عنه حبيبا...

يمشي نحوي في هدوء..وهو مبتسم...ثم يفتح ذراعيه قليلا...

وأنا واقف مكاني..

وقد مُسِحَت من وجهي كل التعابير سوى واحدا...اليقين

أراه يبتسم....وأنا أعلم أنه من داخله لا يبتسم..

ولا يفتح ذراعيه .....ولا يمشي إليَّ عندما يراني

إنه ليس ذلك الآتي نحوي إنه غلاف لمن عرفته سابقا

إنه فم مبتسم

وصوت يقول ..(إزييك؟...وحشتني...)..

وأنا أعلم أنه كاذب

ظن أنه جيد في التنكر لكنه أبدا لم يكن جيدا في التنكر

على الأقل مع من جربه من قبل مثلي

ليس جيدا بالتنكر لدرجة أن أقل أخطاؤه تظهر بمجرد أن يستدير

وأنا أعلم ذلك....وهو يعلم ذلك أيضا..لذلك أعلم أيضا أنه يتجنب لقائي

لكنه اليوم..مجبر مضطر..

تمر لحظات من التفكير قبل أن يصل إلىّ..وكأنها سنوات من التفكير

والعجيب أنه جرئ ...يُطْبِق عينه في عيني ...وكلانا قاصد ومقصود..

يقصدني بلؤم نظراته ....وأقصده بمعرفتي بحقيقته

ولا تتعجب... ...فإن معرفتي به آخر ما يتمناه

وما هي إلا بضعة أمتار تزداد إبتسامته ولكن نظراته تزداد حده

تغريك بالخوف وهي تستحق أن تخاف منها

وما أشد جهلك إن لم تخف منها

ألم تعرفه بعد؟؟

إنه أنا ...

إنه نفسي اللئيمة ...تأخذ صورتي وتقابلني بالمكر

إنه أنا من يقابلني بنظراته الحادة يملأني خوفا كعادته

جاء ليقول لي...إياك؟ إياك أن تشعر بالأمان؟؟

كما يأتي دوما

ولكنني سئمته وسئمت الخوف

لا أريد أن أعرف الخوف بعد الآن

يهم ليحضنني ...

وما أراد ذلك إنما أراد أن يوجعني بطبق أضلعي بدافع الحب الذي زعمه

لكني أنا لا أحبه.....وقبل أن يحتضني.....!

رفعت كفِّي بوجهه...فتوقف أمامي وهو مندهش

ولا يزال رافعا يديه

لم يتوقع منِّي ذلك.....أختفت إبتسامته ...هبطت ذراعيه..

وخفَّت حدة نظراته...ثم بدا عليه ضيق

ولكن الضيق بداخلي أكثر بكثير ...

وقلت له ...:إلى متى؟

قال...إمّا أن تظل وحيدا...

وإما...فإلى أن تموت؟؟

ثم إستدار بقوة ووقار ومشى خطواته الثابته المستقيمة

وتركني ....ولكنه لم يتركني نهائيا..؟

فخفخينة..!!

أخذني صديق بعد انتهاء يومنا الجامعي إلى أحد المحلات ...في ناحية من نواحي المدينة

وهو محل مشهور بين أبناء شبين الكوم واسمه شاليمو...

وطلب لنا اتنين فخفخينة...وإذا سمعت الاسم لأول مرة يبدو عليك ما يبدو على كل من يسمع الإسم لأول مرة من العجب لغرابة لفظه وغرابة حروفه مجتمعة..

وهو عبارة عن طبقات من شرائح الفواكه مرتبة كالتالي..:

قطع من الموز في القاع تعلوها قطع من التفاح بقليل من عصير الجوافة ثم عدد قليل من قطع الأناناس ثم قطع من فراولة ثم قطعتين من البلح الطري اللذيذ يعلو كل هذا قطهة كبيرة من الآيس كريم الأبيض اللذيذ...

يزينها من جوانبها شرائح بارزة من التفاح والموز وقد رُشقت في أحد جوانب كوبها الكبير_ شاليمو_ غليظة لمص ما صُبَّ بين طبقاتها من قليل العصير..

والحق أنها لذيذة وشهية

بدأنا في أكلها من طبقته الأولى مرورا بما دناها من طبقات...طبقة تلى طبقة ...ولا تجد في تفكيري وقتها غير وضع البلد وقد ارتسمت صورته بذهني على صورة الفخفخينة.

فترى من ضمن ما ترى في بعض برامج التليفزيون من المشاكل والتعديات والمصائب والسرقات ما يَجِن جنونك ويثير تساؤلاتك ويذهب بك مذاهب عدَّة من التفكير والنقد ولكن ..لا تتعب عقلك ولا تتعب ضميرك معك فأنت في غِنى عن هذا الكبد الكبير والعناء المرير ..فإنك وإن حاولت فلن تصل إلى شئ ..ولا تسأل نفسك ما السبب وكيف سَهُل الفساد هذه الأيام....لأن الأسباب عدَّة وإذا تعددت الأسباب سّهُلَ منال نتيجتها.

فترى وزيرا للمالية يبني قصراً على ست فدادين على شاطئ بحيرة قارون والذي يُعَد محمية طبيعية..كما ترى جزيرة بأكملها يطرد سكانها الذين لا يملكون في حياتهم سبيلاً للرزق سوى أرضهم التي يزرعونها ويُرزقون عن سبيلها وقد نزعت منهم لتتحول إلى محمية طبيعية.وآخرين تنزع منهم أراضيهم وبيوتهم بدعوى المنفعة العامة لتبنى عليها قرية سياحية تحوي من العري قدر ما تحتويه شواطئها من حبات الرمال ...وأي منفعة؟؟؟!!!

ولا عجب إذا وجدت أكثر الناس ضحكا ً وأخفهم دما ً وبرنامجه الجميل المُضحك وقد بدا عليه الإكتئلب الشديد مؤخرا ً من كثرة ما يقرؤه ويحكيه من صور الفساد ...وقد بدا عليه الجدية على غير عادته ..فقد كان من قبل يملأ المكان لطما ً ونواحا حتى تحسبه أقرب إلى السفه منه إلى الجدية.. لكنه الآن أقرب إلى الجديَّة

أكثر من أي شئ آخر وأبعد ما يكون عن السفه الذي ظنناه أنه من فئته بادئ الأمر .

فإذا نصحت ناهبا ً من شلَّة الناهبين أو سارقا ً من فئة السارقين أو مجرما ً من أي من المجموعتين وقلت له اتق الله واتق عذابه وارحم غيرك تُرحم ..ما أصبت منه غير_ لا شئ_..ولا أقول لا مبالاة لأنه لم يسمعك أصلا ً حتى يتفاعل معك بإجابة ما مهما يكن نوعها أو مضونها .

أمَّا أنا ..فلن أقول اتق الله ولن أقول اتق عذابه ولن أقول ارحم يرحمك الله ولن أقول حراااام عليك..!..ولكن سأذكِّره أن له يوم وكان البارحة ولنا يوم وهو الحاضر وعليه يوم وهو الغد ...وغده أسود ان شاء الله تعالى ,سأذكره أن كل شئ يتغير ...الأيام تتغير ..والحكومة تتغير ..ولو بقت مائة عام ...لابد لها أن تتغير..فإتق بإستقامتك بطش غيرك واعلم أن جديدا ً لا يمح القديم..وأنك مسؤول من آمرك الجديد قبل ربِّك.

فتأتي حكومة جديدة وتطرح سبل الفساد أرضا ً والناهب من ضمنهم ووقتها لا رحمة لمن لم يرحم...سيُسأل عن كُلِّ ما نهب ...سيرى نار الرب ....على أرضه وفي دنياه...ووقتها ماذا سيفعل....ألم يسأل نفسه..؟!

وأنا أتنبأ بكم هائل من الفضائح الحكومية في حال ما تغيرت الحكومة الحالية ومُزِّق نسيجها الممتد من التَسَتُّر والنهب...والأيام بيننا...

واعلم أيها الحاكم أن فساد الرعية نتيجة لفساد الحاكم ولا شأن لنا علمت أم لم تعلم....والمصيبة إذا كنت لا تعلم وعظمت مصيبتك إذا كنت على علم..

فهي رعيتك ومسؤوليتك كما أننا رعيتك ومسؤوليتك..ولا شأن لنا من فقع لك مرارتك فكم من مرارة فُقِعَت لأبناء شعبك لكنها لسبب...فقد ضاقت أسماع الناس بهمِّهم وضاقت عليهم الدنيا وأغلقوا أفواههم وأبوا إلا أن يكتموا غمهم وضيق حيلتهم ووحدتهم ...أمَّا مرارتك فلا أدري لِمَ فقعت ...رغم كل ما تحمله من البرود والإستنطاع.

وربما التدريج يصنع المستحيل..فمع الصمت المستمر أخذ النهبُ والفساد في الإستمرار والنمو حتى وصل إلى ما نراه الآن..

حقًّا ً التدريج يصنع المستحيل ...فالحب يأتي بالتدريج والكره يتكون بالتدريج والنجاح حصاد الصبر بالتدريج وغاية فهمك للتدريج أن تعي أن له اتجاه وما هي إلا أن ينشأ اتجاه لتدريج معين ولا يهم سرعته أو زمنه فإن له غاية وإن غايته لمُدركة.

أشبه ما يكون بالطريق الغليظ وقد مُلئ بحجارة صغيرة ولم يفتأ الناس يمروه ويدهسوا حجارته وحجارته ليست صلبه فتتهشم

تحت أقدامهم فيمروا ويمروا حتى تتهشم كل حجارته وعندها لا يكون غليظا ً وإنما أضحى مصمتا ً متصلا ...دون شعوره بالناس أو شعورهم به..

فقد نشأ التدريج وسرى بإتجاهه ولا يهم متى أضحى ممهدا ً؟ بعد يوم ...عام .....عامين..... قرن... قرنين من الزمان المهم أنه تم وتم على أكمل وجه.

وبالتدريج أيضا اختفت طبقتنا المتوسطة...

طبقة الأدباء والشعراء والمفكرين .....أين هم اليوم..؟؟...

وقد انشغل الناس بالمادة وتركو ما دونها ظنًّا منهم أنها تضمن مستقبلهم ...وقد فعلت بالفعل بعد أن ضمنت لنا الجهل والجشع..ولا حاجة لنا بكم جميعا فقد سرنا في اتجاه وستعود طبقتنا المتوسطة بالتدريج مرة أخرى ...أعلنها لكم جميعا...

فأنظر وفكِّر ...لم لا نؤمن معا ً بشئ ونسعى لنحققه....وليكن شئ كأي شئ....لم لا نسعى معا لمساعدة من يحتاج...أو ربما لا يسع أحد في الخير في هذه الأيام!..أو ربما نسعى معا ً لتثقيف أنفسنا وانتظار دورنا ...أو نسعى معا ...؟!!!!لأي شئ ...المهم أن نؤمن بمبدأ ...ساميا ً كان أو ضئيلا ً ...لا يهم... المهم أن نجتمع على كلمة...وهي احياء طبقتنا المتوسطة من جديد...

لم لا نهدأ في السعي وراء المادة..

لم لا نؤمن بشئ ..لم لا نترك الحياة تمر سهلة ..

الحِمَار.....وأعزّْ أصدقائي...!

من بين من تفخر بإختيارك لهم....أفضل الناس.. حينما يكونو أصدقاءك...

وهو واحد منهم..

هادئ الطباع ...قوي الشخصية...مفكر...دائم الصمت...

أحببت أن أصادقه؟؟؟إلا أنه كان يتجنب أي متقرِّب إليه..

كان ذلك في المدرسة الإبتدائية...وكان يجلس إلى جانب السور تحت الشجرة الكبيرة

وكنت أجده وحده...فأجلس إلى جانبه...فأتكلم وأتكلم..وهو يستمع في هدوء...بلا رد وبلا استجابة

استمر الحال فترة طويلة على هذا الشكل...أجلس إلى جانبه...أتحدث قدر ما أشاء وهو لا يرد

والحقيقة أنِّي لم أكن من هواة الكلام...فلم أكن لأفعلها مع آخر..لأني لم أكن من النوع الودود

إلَّا أنِّي اصطفيت هذا الصديق لك أن تتعجب أن الإستجابة تأخرت إلى أن كانت المدرسة الإعدادية كالعادة ...جلست بجانبه يوما ...وكنت أهدف بحكاياتي أن أستخلص منه نقطة إهتمامه

أعرف الشئ الذي يهتم به هذا الصديق الصعب

واكتشفت أخيرا أن أخينا يحب ...الحمير!!!

والحق أني اكتشفت ذلك بالصدفة..حين قصصت عليه حكاية كنت قد اختلقتها له.

وهي أن رجلاً غبيا ....ضرب حمارَهُ لأن الرجل ظن أن الحمار يعاكس إمرأته.

فظن أن الحمار كلما رأى إمرأة الرجل تحلب البقرة... يحرك أذنيه ويُلَعِّب حواجبه

فضرب الرجل حماره ضربا مبرحا ...

فما أن انتهيت من القصة حتى أغرق الصامت الصعب في ضحكٍ كثير

ثم أخذ يستحلفني أن أخبره إن كانت القصة حقيقية...فأكدت له أنها كذلك إلى أن صدَّقني

ولم يكف عن الضحك في يومنا هذا...ثم أخذته إلى حقل جيراننا فركب حمار جارنا

سعيدا في غاية السعادة ...وكنت أتعجب حينما أراه أحب الحمار حبا غريبا.

وأنا أحببتهما معا.....هو والحمار..

والحق أيضا أن قلبه فُتِحَ لي على مصراعيه

منذ ذلك اليوم وأنا الصامت وهو الحاكي.....

وأنا أستمع إلى حديثه اللطيف بكل إهتمـــــــــــــــام....

والآن ....هو من أعز أصدقائي...لكنه سكن مدينة نصر بعد أن تركت أسرته قريتنا الصغيره

وكل أسبوع يكلمني تليفونيا ...ليطمئن عليّ...ويُطمئنني عليه...

وها هم....حمار وكذبتين....كانو سببا في صداقتي بأعز أصدقائي

أما الحمار فهو حمار جيراننا...

والكذبة الأولى أنِّي اختلقت القصة وأنها أبدا لم تكن حقيقية

أما الكذبة الثانية...والتي كنت أكدتها له في البداية وصَعُبَ عليَّ بعد ذلك أن أؤكد له عكسها ....

وهي تأكيدي له أن الحمار يفكر مثله مثل الإنسان وقد ثمثل في عقله أن حمار جيراننا أذكى من زميل لنا...غبي

ولكنه أبدا في حداثتنا لم يصدق أن زميلنا هذا شديد الغباء....وأن الحمار أبدا لم يكن ذكيا

وما أن يزور القرية حتى يزورني...وما أن أراه حتى أبتسم ...وما أن يراني حتى تعلو ضحكاته

وترتفع يداه ويضمني إليه ضم المسافر العائد....وأراه كأنما أرى ماضيَّ...أو ما صَلُحَ من ماضيَّ

ثم نتذكر سويا هذه الأشياء .....ونتمنى لو نعود إلى مثل هذه المرحلة النقية البريئة.

معك دائما

كم تحتوى حياتنا اليومية على أعاجيب وغرائب

وغاية العصمة منها أن تفهم سببها

فكم نالت من عقول وعاقلين..وذهبت بهم الأفكار كلَّ مذهب وإتجاه فذهبت معها عقولهم

وأضعفت منهم كل نابغٍ مفكر وقادته إلى هلاك عقله الملعون بالفكر

والسبب بسيط...وهو إيمانهم أن لكل شئ سبب....لكنهم أبدا لم يتوصلوا إليه....

وسبب هذا الكلام...أنني أيضا احترت فيما أرى وأسمع

وأبحث عن سبب فلا أجد من هو أهلٌ للإجابة...إلا أنني أجتهد

رغم حداثتي إلا أني شهدت تقلبا غريبا وسرعة التبدل..

.ولم أكن قبل ذلك مؤمنا بتقلب الحال أو على الأقل إلى هذه الدرجة...

وأتذكر أن لي قصة مع لافتات أعضاء البرلمان...

وهي أني مع بداية معرفتي بمعنى البرلمان....كنت أجد على لافتات أعضائه كلمتي إصلاح وتعمير

ولا عجب في اختفاء مثل هذه اللافتات ....إذ لأنه ببساطة لم يعد هناك من يسعى لإصلاح أو تعمير

ثم لفت انتباهي بعدها...لافته خلاصتها..._نسير وفق الخطة الموضوعة_لأن التخطيط أساس الإصلاح والتعمير...

ولا عجب حين تجد أن لافتات .(الخطة الموضوعة)...اختفت أيضا...لأنهم ببساطة لم يجدو خطة...

.ولم يوجدوها حتى يسيروا عليها

ثم اليوم وجدت لافته جديده.._آخر موضة_...وهي لعضوين في البرلمان...وأظنهما من الحزب الوطني.._الحزب الحاكم_...وكُتِبَ عليها.....معك دائما يا.....(إسم الحاكم)....

ولا أرى في ذلك عجبا

فقد احتار المساكين.....إذ أنه لا سبيل إلى إصلاح ولا تعمير

ولم يجدوا خطة ممكنه تجمع مجموعة من المصريين للعمل تحت لوائها....ومن الصعب إيجادها..

فمهما كانت وكان شكلها...فقد أعلنوا عليها التمرد

إلا أنهم لم يعلنوه على من هو أحق به

مم يخافون.....الله أعلم....!!

ورفعوا شعار....معك دائما....

لكني أنا ...لست معه...

وأنت؟؟؟

أبيض وأسود

إلى أي مَدَى..يُمْكِن أن يكون المستقبل مُرْضي؟

إلى أي مَدَى يُمكن أن يكون جيِّد؟

مُرِيح؟

وإلى أي مدى يُمكن أن يكون سيئ؟

مُتْعِب؟

ولكن السؤال الأخير لم يُقلقني قدر ما أقلقني الأول..

لأن الأمور لا يُمكن أن تصبح أسوأ مما هي عليه من السوء كائنة

ساءت فضاق أهونها بأسوأ مساوئها..فغالت في الضيق..وتغالت في السوء

وفي وسط نيرانها..

نَفْسٌ...

حزينة بإبتسامتها..مبتسمة رغم حزنها

هادئة بإضطرابها...

صابرة ...بدموع عينيها..ووقاحة كرامتها..

صامتة...تصارع صُراخها وعويلها..فتُخضِع في صمت كلَّ صُراخٍ وعويل.

فآوت بين أحضان ضلوعها..بُركانا ً من غضب
وغطته بلحمها سُمْكُ التحمُّلِ والجَلَد
تُهَدِّئُه ببرد قلبٍ من جليد..استوحته من قلوب الناس
وتُبْعِدُه عن إدراك مبادئها في ظل عقلٍ من حجارة
استوحته من عقول الناس..
فأضحت كما الناس...
حتَّى لا تكاد تُفرِّقها عنهم جميعا...
قلوب من جليد...
وعقول من حجارة..

قلوب من جليد فلا جنيت من قُرب الجليد غير كلِّ قسوة
ولا أعطاك غير برودة
ولا تذكَّرته إلا ذكرت الألم معه..
وعقول من حجارة..فلا جنيت من قُرب الحجارة غير الصمت
ولا ثَقُلَتْ عليك إلَّا أوجعتك..فلا أنست قُربها..
جليد أبيض..وحجارة سوداء قاتمة
ما وجدت أكثر منهما ضِدًّا..ولا وجدت أكثر منهما ائتلافا
سبحانك..يا من بَعَّدتَ فلا حَنَّ فَصْلُك
وألَّفْتَ فلا عِيبَت إلفَتُك..
حميتني فأرسلت لي من نصحنِي

وأَحَلْتَ من نهرني حافظاً لي ومُعِينا
ورحمتني فطليت سوئي سُخفاً وطيش
وسُقت إلى ناقدي ضحكاً عليَّ
وأبعدت كُرهي عن مداركِه
وحفِظتني بالملل و طول الإنتظار
من فواجع الدهر..ووقع المصيبة
وطويت نواظري على جليد أبيض وحجارة سوداء قاتمة
إلى أي مدى يمكن أن يكون المستقبل مُرضي؟؟
يا عالم..!!
لا تقول أبض..
ولا تقول أسود..
الحاضر أبيض وأسود
وكلاهما ضِيقي وسأمي
أمَّا المستقبل.....!؟
سبحان رب الألوان..

المنهـــــوك..!

عينان تفتحان ببطء لا تشعران بشئ سوى

الإستسلام...والضعف...

وَقْع أقدام كثيرة...أيقظتني من نومٍ طويل....لا أتذكر بدايتَه...

لكن أين أنا...؟؟؟.....أين أنا؟؟؟

هذا المكان ليس غريبا ً عليَّ.....

!!!!!!!!

.....!!مشرحة الكلية....!!؟

نعم....هذه الحُجرة الواسعة ....التي لا يُخَبِّئ بياضَها سوى اتساخ حوائطها..

لكن.....ما أتى بي إلى هنا...؟

ولِمَ أنا مُمَدد على طاولة الموتى..؟

ولِمَ لا أشعر بشئ...؟؟

أين يداي الحنونتين...وساقاي الهادئتين...؟

وإذا بي بلا يدٍ ولا ساق

ولست سوى بطن مبقورة سُلِبت أحشائها..

وأطراف مبتورة ممزقة..

أراهم من بعيد على طاولة مقابلة..

رأسي على طاولة..وأمامه الجزع على طاولة أخرى وباقي الأطراف على طاولة أخرى..

و وَقْع الأقدام يزدادُ ويقترب....!!؟..ثُم يُفتح الباب..ويدخلون..

قومٌ بِيض..ليسوا عليَّ غريبين....

..وجُل ما أتذكره عنهم..أنِّي كُنتُ واحدا ً منهم..لأنِّي أعرفهم جميعا..

يدخلون واحدا تلو الآخر...

وقد سَبَقَتْهُمْ مَنْ أتذكَّر أنها طالما سبقتنا إلى ذلك المكان كل مرة ندخله فيها..

لكن لم أُميِّزها لأنها وقريناتها كُنَّ متشابهات

ومن يُميِّزهن.....!!!!؟

التفُّوا حولي ..وأمسكت بساقى ...أحسبها ساقي...

إلا أنها كانت متعفِّنة مُسْوَدَّة مبتورة وممزقة...اختلف علىَّ لحمها مع غيره

ونفسي تتراجع...بحسرة ومرارة..بضعف لكن بعنف....

حابسةً دموعها...أو أحسبها لا تدمع لأنها لم يكن لها عين.أو أنها بصيره

لأنني أنا _جسدي_هو الذي لم يكن له عين...أقصد رأسي لم يكن له عين لأنه كان وحده

أو أن جسدي لم يعد جسدا...وإنما أضحى كُتَلاً متفرِّقة...

لكنَّهُن جميعا ً كُن ّ َ متعفِّنات...

أمسَكَتْ بساقى المتعفنة واسترسلتْ في كلامٍ كثير..لم يكن غريبا عليَّ ..

أمسكت به...ثم قصدت منه لحما ً بعينه...فتشدُّه ...ثم تثنيه ...ثم تفرده...

ثم تشد وتشد وتشد...غير مباليه بألمي ... ولم أكن أشعر به.. لكن كنت أتألَّم.....

وأرى فلانا ً أمامي.....وكان لي أخا ً وصاحبا..

وكان مكاني من قبل إلى جانبه...

تستقيم عيناي في عينيه...لكنه لا يراني...

وآخر وراؤه ...مبتسم كعادتِه ضاحكا ً لاعب..

وآخر يرسم الجد على وجهه كعادته..مُسْمِعاً مُنصِتا ً..

يلبس قُفازاته...يستعد هو الآخر لشد لحمي وتمزيقه...

انتهت هي...

وانقسموا فريقين...على ناحيتي الطاولة

أحد الفريقين إلى يساري وآخر على يميني...

وتشاطروا ساقاي...واقتسموا يداي....

تناول كل فريق ساق ...أو يد...تمتد عليه أكثر من يد

تناولوه بعنف....بقسوة

وأنا أصرخ....ولا أحد يسمع..

ماذا تفعلون...؟!!!.....ولا أحد يسمع

ماذا تفعلون .؟!!!....ولا أحد يسمع

أصحابي..!!!...ولا أحد يرد

أتركـــــــونـــي.....!

ولا أحد يستجيب

امتلأت منهم خوفا...

وامتلأت منهم ألما..

يعنفونني بكلِّ قصد ..

ولا أدري لِمَ يؤلمونني...وكُنت أَحَبُّهم إليهم...

ماذا تفعلون....!!!؟ولا أحد يرد

منشغلون...منهم الضاحك...ومنهم اللاعب...

ومنهم القاسي .....وكلُّهم قاسين

...

أتركوني أيـــها البلهـــاء.....!...انا.ـــــــــ...من أنا ؟؟؟

أنا لا أتذكر من أنا.....ولا أحد يسمع

أتركوني...ولا أحد يرد

أصرخ بكل قوتي...ولكن بكل ضعف ....إذ لم يعد بي قوة...ولا أحد يسمع

وقد انشغلوا جميعا..بشد لحمي وتقطيع أوتاري...وتقسيم أجزائي...والأفضل يشد أقوى...

ومنهم من يقف بعيدا ً...يشعر بأنه سيتقيَّأ....ويرى أني أنا المذنب...وليس ذنبي أن جثَّتي تعفنت...

سامحني يا صَاحِبِي...الذنب ذنبي...لأني جثَّة سوداء متعفِّنه مقرفة...

ولا يفتأون يشدونني ...يقلبونني ...ثم يعدلونني...

يرميني أحدهم...يلتقطني آخر...ثم يشد ويُقلِّب ويعدل ويثني...

ثُم يمر الوقت..ويهمون بالرحيل...

فهذا يرمي ذراعا ً...وذاك يرمس سا قا...أو جزءا منه..

ثم يخرجون جميعا....ويتركوني وحيدا ً

ولكني كَرِهت الوحده...

وتمنيت لو بقوا معي...

إلَّا أنهم أنهكوني شَدًّا ً وثنيا ً وتعنيفا....

أصحابي...

يدَّعون الحنيِّة...وهم أعنف عليَّ من سكِّين المشرحة...

أنا أعلم ..أنَّهم لا يعلمون...ولا سبيل لهم حتَّى يعلموا

يااااا من تسمعني....

يا من تسمعُ كل شئ...سبحانك..

أرني حكمتك...

فإذا قسمت لي العذاب فقد أريتني إيَّاه...

وإذا قسمت لي غفرانك ومحو ذنوبي

.....فيـــــــــــــاله من غفران.!.....

لماذا يجعلنا الحب نبدو أغبياء..؟

لماذا يجعلنا الحب نبدو أغبياء؟

نظلم الحب إذا قلنا لا حدود له
لأنه نفسه محتوى اللامحدودات
ونظلم أنفسنا ونفوسا غيرها إذا إلتزمنا له بحدود

من بين ما يدفعك إلى شئ...تجد أكبر دافع إليه هو الحب
ومن ضمن ما يبعدك عن شئ تجد أكبر دافع عنه هو الخوف...وربما الحب.

يالها من طبيعة غريبة....تلك الطبيعة الإنسانية..حينما تجد الحب والخوف يتشطران قمة الدوافع
وكان من الطبيعي أن تعتمد المعرفة الإلهية (أي معرفتك بالإله ومعاملتك معه سبحانه)..على هذين الدافعين..
فحبك للخالق _وهو أمر طبيعي_يجعلك تعبده وتطيعه
وخوفك من عذابه هو ما _قد_يبعدك عن عصيانه.

إنها الإرادة المثالية..الإرادة الإلهية...إنها القدر.

وهو أمر الصانع ومشيئته

الخالق يصنع

وعلى المخلوق أن يفكر ويعتبر....ويأثم إذا لم يفعل

عليه أن يحب....ويجد سببا لحبه

عليه أن يشعر بالخوف...وخيرا له أن يجد سببا لخوفه..

...قريبان لكن شتان بينهما..

الخوف

يلعب بالقلب ,ويلعب بالعقل لكنه لا يعميه ولا يخدر وعيه

فإذا كان...كانت اليقظة...والإحتراس..

وإذا انتهى...بدأت حياتك من جديد..هادئة عاقلة.

أما..الحب

يلعب بالقلب ويعمي العقل والعين...ويخدر الوعي فتحيا كأنك لم تحي قبله

وإذا مات تشعر أنك مت.....تشعر أنك لن تحي بعده....

فإذا كان....!!!

لم يكن غيره...ولن يكون ...مـــــا كان ودام...

هذا ما يظنه.....

لأنه غبي

!!!!!

وليس غبيا بالفطرة...لكنه الحب هو ما جعله يفكر كغبي..

لِمَ يجعلنا الحب نفكر بهذه الطريقة؟؟؟؟

مع أنه غالبا لم يكن حب....لأن الحب الحقيقي لا ينتهي

____الحب الصادق لا ينتهي ...لأنه خُلق للبقاء_____

ثم ينتهي لأنه ليس صادقا....

فيمر يوم ويوم ويجد حبا جديداً....

فيلعب بقلبه أيضا ...يعمي عقله وعينه...يخدر وعيه

وتخدعه نفسه وتقسم له أنها تحب _وهي كاذبة_لكنه يصدقها....

وينتهي كما انتهى الذي قبله....

ويظن انه لن يحيا بعده

لأنه غبي!!!

وليس غبيا بالفطرة لكنه الحب هو الذي جعله يفكر كغبي..

كما ترى

دائرة...ولا تسأل نفسك ما السبب

لأن الحب هو السبب

هو ما يجعلنا نبدو أغبياء

يغمرنا ببسمات

ثم لايلبث يغرقنا في دموع

يثقب آذاننا بصراخ الألم

ويوجع قلوبنا بآهات التوجع

ويحرق نفوسنا بلوعة المفارق

ويشعرنا بفزع المغتصب السارق

لماذا..؟؟

لماذا يجعلنا الحب نبدو حمقى؟؟؟

تبكي عليه ....فتبتسم لذكرى بسمة

وتحتار.....أتبكي أم تبتسم...ثم تختبئ من حيرتك بأحضان الحسرة بحرقتك ومرارتك...

فتبتسم...وتبكي...وتبكي ثم تبتسم...على نهج الأغبياء القدامى الجدد....!!!؟

وتصبح أفعالك....غباء في غباء...وحمق ما بعده حمق...

لأنك أحببت !!!

.....

هااه...

عجبا لهذه الحياة.....!

لماذا يجعلنا الحب نبدو أغبياء؟؟

وسَّع مداركك

كل شئ في هذه الحياة لا ينفصل أبدا ً عن النسبية

لأنه لا يوجد شئ مطلق....لا يوجد شئ مفروغ منه..

إلا القليل جدا إذا أخذناها من الناحية الدينية

فيما عدا ذلك....جميع الحقائق ينظر لها كنسبيَّات

.....

قليلون يؤمنون بالنسبيات...وأنا منهم....

إلا أن الآخرين من ذوي العقل يطغى عليهم التعصب ويُدْخِلوا كل أمر ضمن الأمور المطلقة..

ولا أراهم سوى خاطئين وبنسبة كبيرة فيأخذوا لكل شئ وجهين ..على سبيل المثال...:

إمَّا أبيض أو أسود...متجاهلين ما بينهما من الدرجات العديدة

مُدْرِجِين كل الأمور على نهج هذا المثال..بلا نسبة ...بلا مفاوضة...بلا شواذ..

ويتضح على ذلك إختلاف كبير في السلوك العقلاني فإذا أخذنا مثلا الزواج كمثال...

فإذا مثلا كنت أنا النسبي...فسأحسبها كالتالي..._وليست المسألة مسألة حسابات....ولكنها مجرد طريقة لتحليل الأمر...إذ لا يجب أن نحوِّل كل شئ إلى مسألة رياضية ..

إذا كانت هي جيدة بنسبة ثمانين بالمئة وأنا جيد بنسبة ستين بالمئة

فأتنبأ بأن زواجنا سيكون ناجحا بنسبة سبعين بالمئة

وبإعتبار نقص عشرة بالمئة كل خمس سنوات

فسنصل إلى نسبة ثلاثين بالمئة بعد عشرين عاما ً

وهي نسبة تكفي لنا ليتحمل أحدنا عبء النظر في وجه الآخر في معظم الأحيان

وبزيادة خمسة بالمئة لكل موقف صعب مررنا به معا ً

ونقص ثلاثة بالمئة مع كل خلاف نتخطاه

ونقص ثلاثة بالمئة مع كل عبء زائد عن طاقة أحدنا في العمل

مضافا إلى عبئنا معا لتربية أولادنا.....

فسنصل في النهاية إلى نسبة عشرة بالمئة

وهي نسبة على كل حال لاتستدعي أن ينظر أحدنا إلى وجه الآخر

ولكن

لك أن توقن أن النسبية بداية الفهم والتفاهم

ولك أن تضاعف هذه النسبة مع كل ذكرى جميلة لنا معا

..

وفي النهاية ...إذا كان الزوجان نسبيَّان متفاهمان فلا يجنيان من تفاهمهما إلا كل رضى وهناءة

لأنهما بذلا جهدهما للتفاهم...ولم يكن ممكنا بذل جهد أكبر للوصول إلى درجة أعلى من التفاهم..

وكما قلت ...لك أن تضاعف النسبة مع كل ذكرى جميلة لكما معا فهي الآن مئة بالمئة

أمّا صاحب الرأي المطلق..

يراه زواجا ًمثل أي زواج

لا يهمه إذا كانت امرأته جيده أو غير جيدة ..هو أصلا لم يهتم لذلك بعد الزواج

يحسبها تحيا....

وهي كما تحيا البعير في ضيعة أصحابها

لا يُشْغِل باله في التفكير في علاقتهما إذا كانت ناجحة أو غير ذلك

ولا يُحاول تحسينها ...لأن الإطلاق ضد التغيير والإصلاح...

وكيف يُشغل باله وهو يصل منها ما يبتغي وقتما يريد

ربما يكون هو سعيد لأنه يرى الأشياء بلون واحد إمَّا صواب أو خطأ..لا نسب بينهما

فإذا كان يرى الأشياء بلون واحد كيف يرى نفسه على غير صواب...!!

ربما يكون سعيد ..لكنه غبيّ...فاته الكثير وفوَّت عليها الكثير والكثير

وفي النهاية لا يجني هو غير كل جهل

ولا تجني هي غير كل حرمان

لأنهما أبدا لم يعرفا بعضهما

ولك أن توقن أن الإطلاق هو بداية الصمت ومانع التفاهم الأكبر

والصمت قادر على أن يمحو كل ذكرى جميلة مرَّا بها قبل الزواج أو في أوَّلِه

ولا سبيل للإصلاح ولا سبيل للتفاهم لأنهما لم يتعودا عليه

يعيش الإنسان عمره ولا يدري

أن أرخص شئ ينفقه قلبه وهو الحب ..هو أغلى شئ يمكن لقلب آخر الحصول عليه.

يعيش ولا يدري أنه يموت وثلاث أرباع قلبه فارغ...

لأن غيره بخل عليه بالحب لأنه بخل به أولا ً

ثلاث أرباع من عاملوه لم يعلموا أبدا أنه ضائقٌ بمعاملة ثلاث أرباعهم له ببرود

والربع الآخر يعلم ولكنه مع ذلك لا يفتأ يعامله ببرود

وسَّع مداركك بالنسبية.

الأعمى والست هاله...!!

فيما روي من حكايات المجالس وكنت سمعتها منذ زمن أن رجلاً أعمى واسمه سيد تقي ورع أو هذا ما يظنه عنه أهل بلدته وكان له صديق يعمل مدرسا ًواسمه محمود.. الأستاذ محمود وكان دوما ما يزوره صديقة المدرس ليسأل عنه وعن أحواله وليأتيه بما يحتاجه من الأشياء إن أفصح له عما أراد بلا خجل ٍ ولا أعذار .

وكان الرجل الأعمى أقصد الشيخ شيد كما هو عليه منذ زمن ٍ بعيد فأصيبت عيناه منذ أن كان صغيرا في العاشرة من عمره وهو إلى وقت حكايتنا كان قد أمضى في ليله ثلاثين عاما كاملة لم ير فيها من الضوء شعاعا واحدا

ولم يصبه يوما من اليأس صائبة ولم يمسه خور أو جزع أو ضيق ولكنه كان دائم الشكر لله على حاله متفائلا فيما يقبل من أيامه حامدا إياه على ما فات منها في ستر الله وحمايته.

كان دائم البسمة يحب الضحك ولم يذكر أي من أهل البلدة أنه رآه عابسا ولو مرة كان حسن الهيئة بنظارته السوداء التي اعتاد لبسها ليحجب بها عينيه المريضتين التي تَعَوَّدَ النفور من أن يراهما الناس ويحملقا بهما

وكما ذكرت كان له هذا المدرس الصديق الذي طالما زاره كل بضعة أيام.

مرت الأيام على هذا الحال وكم زار أحدهما الآخر حتى صاحبنا الأعمى طالما زار صديقه الأستاذ محمود وأمرأته الست هاله في بيتهما وكم لام المدرس صديقه الأعمى في ذلك لأن بيته بعيد عن بيت الآخر وما أطول المسافة التى كان يقطعها الشيخ سيد إلى أن يصل لبيت صديقه المدرس وكذلك ما كان يعانيه الآخر لزيارة الآخر

مرت الشهور وفجأة انقطعت زيارة الأستاذ محمود لصاحبه الأعمى لشهر

وفي هذه الفترة لم يعرف أي منهما أخبار صاحبه ولم يعلم أي منهما عن الآخر شئ

وحتى إذا انقطعت زيارة الأعمى لصاحبه فهذا وارد بينهما

إلا أن الأعمى أخذه القلق إذ لم يتعود من صاحبه مثل هذه القطيعة أبدا حتى انشغل صاحبنا وأخذه القلق على صديقه حتى عزم أن يزره في منزله إذا أصبح.

مرت ليلته وهم صاحبنا ليزور صديقه حتى إذا وصل لبيته طرق الباب وفتحت الست هاله زوجة الأستاذ محمود

وما إن رأته ورأت نظارته السمراء الكبيرة حتى قالت له:أهلا بك يا شيخ سيد لقد نورت الحي بأكلمه

و هو يرد عليها باسما مازحا كما تعوداه : كم أوجع عيني هذ النور الذي يشع من الحي الذي تسكنان فيه هذا نورك أنت والأستاذ محمود والله يا ست هاله....يعقبها بضحكته العالية

ثم يسألها عن الأستاذ محمود وهي تخبره وهى آسفه أنه ليس بالمنزل .

ثم دعته للدخول فرفض متحججا بأن لديه مشاغل وطلب منها أن تخبر زوجها الأستاذ محمود عن زيارة صاحبه وأن صاحبنا الشيخ سيد قلق على صاحبه لأنه لم يتعود منه مثل قطيعته له ولم يكن قبل ذلك يمر عليه يومين أو ثلاثة حتى يسأل عنه صاحبه

ثم تركها ورجع بيته

انتظر الشيخ سيد صديقه المدرس لكنه لم يأت لزيارته وبعد بضعة أيام عزم صاحبنا الشيخ سيد على معاودة زيارة صاحبه مرة أخرى لِعِلَّةٍ في نفسِهِ لا يعلمها إلا هو

وذهب لبيت صاحبه ودق الجرس ففتحت له الست هالة فرحبت به فسألها عن الأستاذ محمود فردت عليه آسفة بأن زوجها ليس بالمنزل ...ثم دعته للدخول والإنتظار فرفض وطلب منها أن تخبر زوجها بزيارته إذ أنه يريده في شئ مهم..

وكم كانت الست هاله مندهشة من البهجة على وجه الشيخ سيد هذه المرة والتى تزداد عن عادته التي اعتادته دوما عليها

مرَّ أسبوع ولم يزر الأستاذ محمود صاحبنا الشيخ سيد فعزم صاحبنا الشيخ على زيارته مرة ثالثة وكأنه بالفعل في حاجة ماسة إليه ولكن بهجته التي لزمته منذ ثلاث اسابيع لا زالت تحير العقل.

فإذا أصبح من يومه قام ناهضا بزيارة صديقة الأستاذ محمود حتى وصل لباب بيته فدق الجرس وانتظر لم يفتح أحد ...ثم دقه مرة ثانية وثالثة و .....حتى فُتِح الباب على مهل وخرجت منه رأس الست هاله ببطء لترى من بالباب فإذا هي تجده الشيخ سيد (الأعمى) وكأن الست هاله خرجت لتوها من الحمام إذ كانت تستحم وفي وسط استحمامها دق جرس الباب ثم دق ثانيا وثالثا فعرفت أن إنسانا ثقيلا يدق الباب ولن يبرح مكانه حتى يُفتح ذلك الباب

فخرجت في وسط استحمامها وقد لفت نفسها ببشكير .....لكنه لم يكن طويلا ً كفاية حتى أن ركبتيها قد تظهران من تحته كما قد يظهر كتفها وأعلى صدها وبعض من شعرها ...لكنها على كل حال لم تفتح الباب وإنما أخرجت رأسها أو قل عينيها لترى من بالباب.

حتى إذا وجدته الشيخ سيد إطمأن قلبها إذ قالت في نفسها أنه لا توجد عين مبصرة تخشاها

ثم سألها الشيخ سيد عن الأستاذ محمود فقالت له أنه لم يزل بالعمل لكنه قارب على المجئ وعزَّ عليها أن تدعه يرحل للمرة الثالثة هذا الكفيف المسكين الذي يظهر عليه أنه يريد زوجها في أمر ٍ مهم

فإستحلفته أن يدخل وينتظر الأستاذ محمود بالبيت وإذ أنها تعلم أو تعتقد أنه لا يبصر فتحت له الباب مطمئنة هادئة البال رائقة النفس .....

ودخل صاحبنا الشيخ سيد المنزل وجلس على الأريكه ورأسه متجها ناحية الست هاله الشبه عارية والتي ذهبت إلى الحمام لتستكمل استحمامها.

استكملت الست هاله الجميلة استحمامها وخرجت من الحمام ثم لبست قميص نومها ودخلت لتعد للضيف المنتظر كوبا من الشاي أو فنجانا من القهوة ...

أعدت القهوة وقدمتها له وهى مرتدية قميص نومها ثم دخلت وأرتدت جلبابها وخرجت لتجلس مع الشيخ الكفيف

مرت ساعة تلى أخرى وصاحبنا الشيخ سيد منتظر .

ثم قام من مجلسه وقال لها:يظهر أن الأستاذ محمود هيتأخر .

ثم استأذن لأنه على موعد مع دكتور العيون

والست هاله تعتزر له إذ أن زوجها تأخر في ذلك اليوم عن ميعاد عودته المعتاد

فقال لها الشيخ سيد لعله خير ان شاء الله.. فقط اخبريه أني قمت بعمل عملية وأبصرت بحمد الله وفضله

ثم خرج من الباب ونزل السلم وخرج من البيت وعاد كما جاء

والست هاله في وقفتها كأنما تحجرت كما هي حتى غاب الشيخ عن نظرها .

إلى أين المسير يا ساده؟

ضقت ذرعا بهذه الحياه

حيرني سؤال..حير الآلاف من قبلي....

.لم الحياه.؟.

وكم سعيت وسُعِي قبلي للحصول على إجابة ....!

والإجابة بسيطة..غاية في البساطة.....لدرجة أن ظن البعض أن لا توجد إجابة؟؟؟؟؟

ولكنه سؤال...شأنه كشأن باقي الأسئله ...لابد أن توجد له إجابه

والمغزي أن تسأل من هو أهلٌ للسؤال..

فإذا أردت أن تعرف الإجابة إسأل من سألته أنا..

ومن ذا أحق بالإجابة ممن هو ضد الحياة.؟!.

.إنه الموت.

نعم...الموت...ذلك الضيف المفاجئ...بلا سابق علم...

ذلك الضيف ذو العشم....الذي يحضر مناسباتنا بلا دعوة.

لا ينتظر دعوة...لأن في موتنا حياة له...حياة للموت.

وإذا كان الموت بلا سابق إنذار فما أهون حياتنا إليه.!!.

إنه ربما يحقرها ولا يأخذ لها أي إعتبار....

أو ربما هما على كامل وفاق وإتفاق...وأنا أرجح ذلك.....

.ربما اتفقا معا...الحياة والموت.... ضدي وضدك..

ولِم يتفقا الموت مع الحياة..إلا إذا كان لكل منهما غاية ومنفعة..

وكيف تكون للحياة منفعة من موتنا إلا إذا كانت منفعتها هي سبب وجودها..

أي أن سبب وجودها هي أن تسلمنا للموت ...تنهينا نحن.

بالنسبة لي أدركت الآن أن السبب من الحياه هو أن تنتهي..ولابد لها أن تنتهي.

لأنها وُجدت لهذا السبب...

الهدف من الحياة هي أن ترضي بها..

الهدف من الحياه أن لا تتم لنا غاية ...

ولا تنهي لنا سبيل..

الهدف من الحياة هو أن تنتهي...

الهدف منها هو أن تسأل ما الهدف منها؟

وما فائدتها إذا لم تعلم ما فائدتها....

وما الضرر إذا علمت أن لا فائدة لها..

كلها تعب ...كلها مشقة وجهد..

كلها ضيق....والضيق منها طبيعي ..لأنها ضائقة بنا..

فإلى أين مسيركم ؟

إلى عمر يمضي ...وموت يقبل ...

بينهما الطريق مملوء بسعي لا يتوقف...حتى تمر الحياة خفيفة...

لأجل أي شئ؟؟

المهم أن تسعى لشئ يستحق...

إلى أين المسير.....؟.....إلى أين المسير يا سادة.؟؟؟

المحجــوب

للأسف ومع كل أسف....لا يستطيع انسان أن يعيش وحيداً

ولو تحمل الوحدة عشرات السنين...لابد له أن يحن

..إلى شخص....روح....مكان....ابتسامة.....ضحكة...نظرة...

أو عتاب لطيف من شخص عزيز على قلبه...

فيجري من مكان وحدته ويقرر العودة...العودة من الموت إلى الحياة...

يأخذ الطرق..سعياً...جرياً إن استطاع....مشياً....ولو لم يستطع قد يفكر الإستمرار حبواً لو لزم الأمر.

...لأنه سئم الوحدة....لأنه سئم الإنعزال لأنه سئم التفكير والصمت .

فيصل إلي ما كان بخياله...فوجد ما لم يكن بخياله

ولم يجد الشخص العزيز الى قلبه....لم يأنس الروح....لم ير الإبتسامة والنظرة..

..ولم يسمع الضحكة....لم يعد المكان كما كان... حتى لم يتبقى شئ..

.فتمنى لو لم يمسك بحبال الأمل وتمنى لو لم يسع إلى ما سعى اليه ويأخذه الندم من كل نفسه..ـ على ماذا.؟

..على ما فات على ما ضيعه...وما لم تقترفه يداه على كل خطأ حدث في الدنيا على مر الأزمان.

.ولو رفع عينه...الى بيت قريب منه...ذو طابقين

.. لوجد آخر قد كره الحياة ومن بها قد شبع من الناس وشبعت منه الناس.

. قد شبع من المشاكل ..ويتمنى لو لو يقذف في وادٍ اسمه الوحده.....وما أدراه بها!؟

انه دائما كان وحيداً ولو كان حوله كل الناس

انها الوحده.

..ذلك الشعور الذي يملأ العقل ولا يترك به مكانا لأي شئ آخر.....

سبحان من أخفى بكل قلبٍ همَّه....وأودعه طاقته وسعته وأعلمه العدو والحبيب...

وألزمه الصبر والإمتنان...وعجبا لحاله إذا ضاق بدنيا بأكملها! ولي مع الوحدة حكايات .

...ولا أظن الحب وحده كفاني...فما حب يبقى ولا حبيب يقيم....ولنا في ذلك صولات.

ولا أظن الحب وحده يكفي ...ذلك الحب الذي عرفته أنا

والذي وجدته أبعد ما يكون عن الحب الذي عرفه باقي الناس

إنه الحب الذي ينبع من الطرف الواحد من دون الطرف الآخر

وفي بداية الأمر ذلك الطرف الآخر لم يكن موجوداً حتى...

إلا أن الأمور تغيرت.

وُجِد الطرف الآخر لكن الحب لم يرضى بالتغيير وظل الحب من الطرف الأوحد.

ربما يضحك الجميع إذا سمعوا في أي عمرٍ بدأ هذا الحب.....ويا له من عمر!

والآن بعد النضج أدركت أنه لم يكن لعب صغار_كما سمعت من قبل_بل كان أول ما ملأ القلب ذلك الشعور البرئ ...وأعتقد أنه لم يُملأ بعدها مرة.

كانت بعيني كالظل من حر عيون الشمس...

كانت كالملاك....كانت دوما بإبتسامة لطيفة لم أنسها أبدا

لكن الخجل...لعنة الله عليه...كان الحاجز الوحيد...

كان كالقرين الذي يلازمني.....

أربع سنوات لم أستطع أن أكلمها سوى من شهرين....

حتى عندما استطعت ان أكلمها ..كان الخجل هو من يتكلم...ليس أنا ..

فكان كلاما...ثقيلاً...غاية في الثقل.

أربع سنوات وكنت أكتفي فقط بالنظر إليها...فقط بالنظر اليها...ولك أن تتخيل الباقي!

كنت انظر اليها وأسرح....ثم أسرح وأنا في غاية السرحان....وأحلم...وأحلم...وأحلم...

أحلام بسيطة...بسيطة جداً...الأساس فيها أن نكون نحن الإثنين معاً...فقط نحن الإثنين...

ربما في جزيرة مهجورة مرة...أو في بيت منعزل...ولا نعرف سوى شئ واحد...الحب والحب فقط..

كانت أحلاما غاية في البراءة ...لم تمتزج يوماً بشهوة....ولم تمتزج يوماً بأنانية...

وكنت أقول في بالي حتى لو لم أكن أنا فيكفي أنها ستكون سعيدة....

لكن كيف مرت الأيام ...وكيف كان الخجل...وكيف كان الرد ...وحديث العيون..

حديث العيون...والإبتسامات.!!

يا له من شعور ...تلك الرعشة التي تأخذ المحب من كل وجدانه عندما يرى

محبوبته...أو حتى إذا ذُكر اسمها...وفي الحقيقة أنه كان دائماً في رعشةٍ وإرتجاف..

لأنها أبداً لم تَغِبْ عن خيالِه.....

لأنها دوماً في عقلِه ووجدانِه....

لأنها كانت من ينبض بصدرِه ويمنحه الحياه.....

فلم يكن له سوى قلب....!!!

لم يكن له لسان..!ولم تكن عنده جرأة...!

ولكن لم يمسه خوف....من الأيام...والناس...والقدر....أوالحب

وكيف يمسه الخوف وقد قصر العالم في ذهنه عليه وعلى محبوبته..وأخلاه من باقي الناس..؟

كيف يمسه خوف وقد ملأه الحب رضاً وهناءةً وحنان؟

كيف وقد رمى الحب في قلبه كل أمنٍ وسلام ...؟

كان يراها فيتصلب كالحجر...ويحمر وجهه ...وترتفع درجة حرارته ..كان يشعر بلهب ينطلق مع أنفاسِه..

كان لا يضحك ولا يبتسم ...كان ينظر اليها بوجهٍ مُسح من عليه كل تعبير.

إلا أنها ضحكت له مرة....

لم ينم ليلته هذه....كان كمن صُعق ...لا يتكلم ..لا يفهم...لا ينصت...لا يرى..

ولا أراهُ ذاق حباً قدر ما أذاقه الزمان أساً و وحده....وقتها كانت في خياله تملأ عليه الكون بأكمله..

لكنه أدرك بعدها أنه ليس سوى وحيد مجذوب...فَضَّلَ الحياه في خياله عن الحقيقة..وجد الحقيقة أثقل عليه من الموت وجدها قبيحة وباردة...بلا مشاعر...بلا روح...وبلا خيال..فغاص في باطن الخيال وغرق ودفن نفسه فيه.

ضحك عليه قلبه وضحكت عليه الأيامُ بعدها....

لكنه جمع في عقله من الأحلام البريئة الجميلة...ما كان يخفف عنه..في أتعس اللحظات إلى قلبه.....

ولا تظن أنه ذاق تعباً مادياً..أو جسدياً...

كان تعباً نفسياً...كان تعباً من الإهمال.....إنه الذي لا يطيقه أي ذي قلب.

تعباً من الضحك الكثير والهزر القبيح...

تعباً من معظم ما يسمعه ويبصره....

تعباً ممن لا يفهموه...تعباً ممن لا يحاولوا حتى فهمه.....

كان بين الناس وحيداً..

لكنه كان يجد من قلبه الأنيس ومن عقله الجليس...

كان يفكر فيمن أحب ....وفيمن كره..ولا أظنه كره أحداً قط..كان يشعر بضيق من فرد مثلاً لكنه أبدا لم يعرف الكره...لأن من يحب لا يكره....

ولكن كما قلت لم يهتم أبداً بوحدته...ولم يشعر بها حتى...

إلا بعد أن عرف أن لا سبيل أبدا لهذا القلب الذي طالما تمناه...

كان يجد في قلبه الونيس ومن عقله الجليس...

لم يكن يشعر بتلك الوحدة الطاغية حتى...

لم يشعر بها إلا حينما أدرك أن لا سبيل إلى ذلك القلبُ الذي طالما تمناه...

وطالما حلم به ...وطالما سَرِحَ في وجه صاحبته....الخالي من كل تعبير ..سوى..

من تلك الإبتسامة....التي تَعِد..ولا تَفِي .....وأدرك بعد ذلك أن لا معنى لهذه الإبتسامة,

وأدرك حقيقتها..وحقيقة قلبها الذي طالما ظنَّه رقيقاً..... أدرك أنه قلبُ بارد.

... إنه قلب.. صاحبة... الإبتسامة...التي لا معنى لها...

كان يضيق بفكرةٍ إلى فكرة...ويهرب من وهمٍ إلى وهم ...

لكن الفتى عليه واجبات نحو من حوله...أن يهتم بهم ولو لم يهتموا به ...أن يرعاهم ولو لم يرعوه

أن يحافظ على تفوقه في الدراسة كما إعتاد هو وكما إعتادت أسرته ومدرسته...

غرق في بحر من الأوهام وأهمل حياته..وأهمل من حوله...وأهمل دراسته قليلا لكن سرعان ما اجتهد فيها أكثر من ذي قبل...ومر عام...

ربما لم يكن على درجة مناسبة من النضج ....

أو ربما كان ناضجاً لكن الحبَ زاد عليه حتى لم يستطع تحمله...

أوأنه هرب من الدنيا التي لا يهتم به أحد فيها...

إلى دنيا من صنعه هو ...جعل فيها نفسه ملكاً عليها....وتمنى لو يُعَيَّن ملكا في الحقيقة..كما هو في خياله

لكنه صُفِعَ صفعة قوية ردته الى واقعه الكئيب...وحقيقته المرة...

كانت عندما قرر أن يكلمها....يكلم صاحبة الإبتسامة التي لا معنى لها...

ويخبرها بما عجز قلبه الرقيق عن حمله...وظن أنهما ربما يتشاركان معا في حمل ذلك الشئ الثقيل...

ذلك كان في المرحلة الثانوية ....في السنة النهائية....

ملأ نفسه جرأة وذهب إليها..كانت جالسة....وكان من حولهم في شغلهم الشاغل ..وسعيهم المستمر

إستأذنها في كلمة ..وكانت أول مرة يُكَلِّمُها..

فدعته للجلوس فجلس...تبادلا كلمات قليلة عن الدراسة .

.ثم رجف رجفة قوية...وخرج من فمة حروف .

.لا معنى لها.....غالبا.مثل الذي يخرج من أفواه البلهاء..

حقيقةً قال في نفسه:يا لها من مصيبة...لقد شُلَّ لساني.....!!!!

وهي تتعجب على حال هذا المعتوه ...

سألته...:ما لك؟

فضحك ضحكة غريبة....!!.ثم ابتسم بلا صوت.!!..ثم بدا عليه الجد وأخذته الجرأة!! ثم بدأ في الكلام....

فقال:ما لي.؟؟؟؟؟ ألا تعلمي ما بي؟ألا تشعري بالنار ؟

قالت في تعجب :أي نار!!!

قال؟؟!!:تلك النار التي في قلبي.

كان على وجهها تعبيرا واحدا ..حتى بعد كلامه الذي قد يظهر على معظم الفتيات الحياء حينما يسمعوه.....وكان على وجهها نفس الإبتسامة...

نظر لها بعمق...وقال:أنا أحبك...!!!

ومد يده في خفة وهي جالسة بجانبه ووضع يده على يديها...

- لم تخطف يدها...

- لم يَحْمر وجهها خجلا..

- لم تقل:دعني أفكر...

بل تعالت ضحكاتها....وكأني كنت أمازحها....

- ضحكت!!!

رأى بوجهها برود لم يراه من قبل...كانت باردةً كالثلج ..وأصبح الهواء ثقيلاً فجأة..

لكنه هو الذي خطف يده...وأحمرَّ وجهه من الغضب والحزن.

كاد قلبه يتوقف...

سحب يده ...وهي شبعت من الضحك ثم نظرت اليه بدون الإبتسامة لكن بالبرود...

وقالت...!!!:هل أنت معتوه!!؟...ألا تشعر بِعُقَدَك....أيها المعقد...أيها البائس...المتردد...

وقالت:نحن حتى لا نصلح كأصدقاء ...أرجوك لا تعيش الدور..أكثر من ذلك..

ولا تُحاول ثانيةً....فأنا لا أحبك.....

...قالت ذلك!!!!!!!!وهل هناك ما يقال بعدها؟...وهل هناك رد؟!!!

بعض الجراح تقويك...وبعض الجراح تقتلك...

ولا فخر في كون الفرد مجروحا...ويا له من أساً وعذاب..

ويا لها من مفاجأة!!!

لم يتوقع ذلك...ومن قد يتوقع رداً مثل هذا الرد...إنه حتى لا يوجد في الأحلام...

إسأله هو عن الأحلام وما بها من خيال ومفاجآت...لكنه هو _حتى هو! سيد الأحلام _ لم يتوقع مثل هذا الرد..

سمع الرد ولم يسمع شيئاً غيره..في يومه هذا...

لم ينطق بحرف أمامها...لم يهتز له رمش...لم ينبش له ساكن...

أحسَّ أن كل الأصوات اختفت...رأى شفاه تهتز..ولم يسمع لها صوتاً..لم يسمع للدنيا صوتاً..

حتى أكملت كلامها..ثم قامت و رحلت..فهل رحلت إلى الأبد؟

...ورسمت على وجهها نفس الإبتسامة التي لامعنى لها..

يا له من برود...يا له من قلب...يا لها من روح...ويا لها من مفاجأة...

قام ولا يدري كيف وصل لبيته...

نام ..أو..لم ينم.....!!بين هذا وذاك.. ...

لا يفكر في شئ...لا يفهم .لا يسمع ..لا يبصر.. لا يشعر...لا حي ولا ميت..

وإنما شئ بين هذا وذاك...

قلب بالكاد ينبض..وصدر بالكاد يتنفس..

لا يبكي ...يبدو على وجهه انه غاية في الجد...لكن دموعه تتساقط ولا يشعر بها...

ظل هكذا طويلاً...وهو على ذلك ترددت الكلمات في أذنيه...وبدأ في فكر طويل...

لم ينفي عن نفسه التردد..ولا التعقد...لام نفسه على الصمت والإنطواء وهجر أصحابه ...

لام نفسه لأنه لم يحب الواقع يوماً ولم يأنس بأحد ... لم يأنس سوى بنفسه وبأحلامه...

كان يذهب ويأتي... إلي درسه.. ومن مدرسته....يستمع للشرح بتركيز شديد..

ثم بعد انتهاء الدرس...ينتهي الشرح ولا ينتهي التركيز...يعود بتركيزه...

يعود دون أن يكلم أحداً أو يكلمه أحد...كان يبدو عليه دوماً التركيز الشديد..

كان مخيفاً.... غامضاً..كان يشعر بأصحابه حين يسترقون النظر إليه..وكان يعلم!!

وكان يظن أنه يعلم ما يقولون عنه...كان يظن أنهم يسخرون منه... يقولون:أنظروا من أتى..إنه الفتى الغامض!

إنه المعقد البائس!

وكان يسمعهم يضحكون ...فيضع في نفسه اليقين أنهم يضحكون عليه _ولو لم يفعلوا_وأدرك بعدها أنهم أبدا ً لم يفعلوا...

لم يكن من الأحياء وقتها..كفاه حبه عن كل حي..

ولكن هذه الصدمة أعادته إلى الحياه ولو لم يترك صمته كلياً....

أحسَّ أنه أخطأ في حق نفسه وفي حق حياته...ولو لم يترك كرهه لحياته كلياً أيضاً..

رأى نفسه كحِمَار أشبه بالحصان..

لا منعه من الكرامة ...سوى طول أذنيه.

لم يكره من أعدوا حمارا ً ذما ً ..لكنه كره أذنيه...وكره نفسه...لم يكره أحداً سوى نفسه..

ولم يكره الحب!!!رأى فيه حياته!!!ورأى الحياه الحقيقية خلت منه!!فلم يتجرد من أحلامه..

ولم يغرق بها كما كان من قبل..

شغله عنها انتقاله إلى الجامعة.

دخل كلية الطب ..كان سعيدا بحزن ...ولكن بصمت...

فهل وجد الصديق؟أشك في ذلك

وهل وجد الحبيب؟ ؟؟

لم يتجرد من أحلامه...ولم يغرق بها كما كان من قبل...

دخل الجامعة...سعيداً ولكن بحزن...حزيناً لكن برضاًوقبول..

فراغ.....فراغ.....فراغ.....خصوصاً في بداية العام....لم يهتم بالمذاكرة من بداية العام..

إهتم بمن حوله..لم يهتم بصداقتهم...فقط ينظر ويتأمل..فكان يجد فيهم غرابة..

فيضحك من نفسه..تلك التي حيرته وحيرت آخرين...

في البداية كان سعيدا بوحدته...لأنه لا يجد مَنْ يعارضه..مَنْ يعيب عليه انعزاله عن الناس.

كان يجد الصداقة عبئا...لما وجد لها من التزامات وواجبات...

ولكنه مع ذلك لم يخل من صداقة..

لم يخترهم ولكنهم هم من اختاروه..ليسوا كما أرادهم أبداً...

ولكنهم... على العكس أكثر لهوا..وعبثاً.. مما ظن..لم يستطع أبداً رفضهم..

وهو على يقين أنهم يحبوه وأنه أحبهم رغماً عنه...

أرغموه على حبهم..

وتبقى المشكلة أنهم ليسوا معه في كليته...

أحدهم قريباً منه في كلية الهندسة...كان يقابله بين حين وآخر..

والآخر في كلية طب عين شمس...

الإثنان على مستوى من الذكاء لكنهم أبداً ...أبداً ..لم يستخدموه في خير...

فقط يشغلون بالهم بالعديد من الفتيات....

لكنهم عرفوا..أني لا أحب كلامهم في مثل هذه الأمور لأنهم يتناولونها بطريقة (محرجة).

فعدّلوا من الطريقة ولم يعدِّلوا من محتواها..

أَحَبَّهُم لأنهم غالباً يفهموه دون أن يتكلم...عرفوا أن لضيقي حدود فحافظوا على هذه الحدود..

فيما عداهم ..فهو وحيد في الكلية..وإن كثرت معارفه بها...
كان كل شئ على ما يرام....يرى كثيرين ويراه الكثيرين...
يغرم بأي فتاة...إذا أعطته فقط قليل من الإهتمام...

إلى أن رأى .....
ملاكاً
يبتسم!!!
وهل تبتسم الملائكة؟؟!!
رأيتها في يوم..لا أذكره...أثناء الشرح العملي...
ابتسمت لها على غير عادة...
لم تبتسم لي..
ابتسمت لها ثانية.....قاومت ابتسامتها مرة ثانية!!
لم أشعر...بمن حولي...بالشرح...بالدنيا...
لا أدري ما أصابني...أفضيت على وجهي الجد مرة واحدة....فلفتّ انتباهها
ثم أبتسمت لها فجأة...هذه المرة لم تستطع مقاومة ابتسامتها...و ما أدراك بإبتسامتها..
علت ضحكتي الى أن وصلت لآذان من حولي...فوقف الشرح فجأه ...وإلتفتت الأنظار صوبي...

وأنا لم أشعر سوى بعيون تحدق فيّ..بكل جد وكل إستغراب....كنت أبتسم وقتها..

أضطررت أن أخفي البسمة بالجد الشديد والتركيز...

إنه كالمرض الذي يجري مني مجرى الدم ...وليس بيدي أن أعرض نفسي دوماً لمواقف محرجة..

لكني لم أهتم بهم ...ولا بالشرح بعدها....

من يومها أهتممت فقط بالجميلة..

ليست شقراء...وليست سمراء...لها لون لا يوصف..شديد الجمال.!!!.

قدر ما ملأته سعادة..قدر ما ملأته صمتاً وتفكير..

أرجعته إلى ماضٍ قريب..غير سعيد بالمرة..لكنه ربما تعود الحزن ..

ففكر فيها لكن بحذر ..وبكل حذر..لأنها رقيقة..غاية في الرقة..

من هي يا تري؟؟

فكر بها لكن بحذر ..وبكل حذر..

لأنها رقيقة..لأنها الرقة نفسها..

قليلا ما رآيتها تتكلم...قليلة الكلام مع صديقاتها..

منخفضة الصوت دوماً..

يبدو عليها الحياء والخجل.

من هي يا ترى؟

إنها ذات العينين ....الحزينتين.... الحائرتين..

ولكنه كالعادة ...دون أن يشعر وجد نفسه قد علق في حبالها ..

أغرم بها وبكل ما بها..

ما أجملها من كملة .....

وما أصدقها من عاطفة...

إنها كلمة الحب الذى طوى الضلوع على القلوب فزادته ألماً فوق ألمٍ وأنينٍ فوق جهدٍ وصُرَاخ.

إنه الذي يداعب القلب الشاب فإذا شاء امدَّ في شبابِه إلي ما لا نهاية.

وإذا شاء أَحَالَ هذا الشباب إلي العجز وربما إلي الموت.

وبيد من هذا المصير؟؟؟؟

بيد المحبوبة التي ترضى أو لا ترضى

نظرة تحييني ونظرة تميتني

وأخاف ان تحسبني طماعاً إذا طلبت أكثر من النظرة

كانت غاية في الرقة والأدب معاً.!!!!!. وأنيقة..

اسمها..من التسرية..وراحة النفس ..وهو ما تشعر به حينما تنظر اليها...

وصوتها يا له من صوت..ولنا مع صوتها وتأثيره حكاية!!!

من يوم رآها مرته الأولى لم يكف عن النظر إليها...والتبسم لها...

كانت تبتسم له أحياناً...وأحياناً أخرى لا تبتسم....وكل ذلك دون اقتراب (طبعاً).

أصطدم بعدة مشكلات في بيته..لأن جو المنزل لم يكن يشجع على المذاكرة..

أصيب ببعض الضيق..شغله عنها لفترة..

لكنه في يوم من الأيام إلتفت فجأة فوجد عينين ..يعرفهما جيداً..تحدقان به..من بعيد..

وأنحرفتا عندما شعرتا بإنتباهه...

آه..

عينين..حزينتين..تنوحان بغير صراخٍ ولا دموع..تأسره من شتات نفسه..بغير سابق انذار

ووجه جميل..غاية في الجمال.

وقلب خالي يبحث عن حبيب...اتجه بحثه صوب قلب آخر جريح...مريض..لا يقوى على الحب

بالكاد يبقيه حياً...

ولكن ذلك ليس بيديه....ولكنه بيديها هي...لو أرادت أحبته وأحبها..

ولو أرادت..أحبها دون أن تحبه هي..

لكن الأصدق قولاً..أن لا يد له أو لها في ذلك ..إنه فقط يحدث...

دون إرادة...دون إختيار... دون تفكير..ودون عناد..

ورغم أي شئ يبقى سؤال أهي فعلاً مهتمه به ...أم أنها صدفة..؟

ولكن ما يوقنه هو أنها على علم بإهتمامه بها...

ظن أنه ربما لو أخبرها بما يشعر به..لجذبها إليه وتأكد من شئ يشغله.

وظنَّ أيضاً أنه قادر على أن يكلمها !

وتبقى المشكلة أنها أبدا لا تمشي بمفردها..لا تفارق زميلاتها..

ولكنه ظن أن ذلك أمراً سهلاً.يمكن التغلب عليه...

لكن هناك أمر آخر لم يكن على باله..!!!!!!!!!!!!! صوتها..

لم يسمعه من قبل..سمعه أول مرة عندما حاول أن يكلمها..وبقي صوتها هو المشكلة!

عجباً لما يخفيه القدر..

ظن الأمر سهلاً ...

ولكنه أبدا لم يكن...

وكان الذي لابد منه... هو المشكلة...وهو... صوتها.

خرج من كليته في يوم أذكر أنه كان في بداية الأسبوع وإذا به وهو في طريقه يرى حبيبته الجميلة أو من توَهَّم أنها حبيبته_لكنها كانت جميلة_وإذا بنفسه تسوقه سوق العبيد وتصفعه وتوبخه وتحثه حتَّى يكلمها ..وكم كان ذلك صعبا ً عليه؟..

إذ لم يكن يُحِب أن يتم رفضه للمرة الثانية وتخيل لو أن رفضه تم بنفس الطريقة الأولى ظن وقتها أنه سوف يقع تحت قدميه ربما مصابا ًبجلطة أو ربما بسكته قلبية.

ودعى الله لو أن تمَّ رفضه أن يتم ذلك بطريقة لائقة ليِّنة

عزم على الأمر.استوقفها واستأذنها دقيقة من وقتها

فقالت له :نعم وشرعت في سماعه

ولكنه ما ان سمع صوتها_ولم يكن من قبل سمعه_حتَّى لم يستطع أن يتكلم لأنه كان رقيقا ً كصاحبته هادئا ً كصاحبته

خيبك الله فماذا لو قالت له كلمتين بدل كلمة واحدة...أو قالت له مثلا ً..تحت أمرك.

فقال:أ.....أ.....أ.....

ثم قال لها :شكلك مشغولة...مرة ثانية إن شاء الله.

ومشت ومشى ولم يستطع....

لم يلُم نفسه ولم تلمه نفسه لأن كل منهما يعذر الآخر

قرر أن يؤجل الموضوع لحين يتشجَّع_ولكن موت يا حمار_ولم يصرفه عن الموضوع إلا رسالة منها إليه مع زميلة لهم أن لا تحاول ثانية لأنك تضايقني,الحق أنها أقنعتني أنِّي أعيش وهما ً...

واكتشفت أنِّي بالفعل كنت أعيش وهما ً,ولَمْ أعلم أبدا ًسبب سوء ظنها بي,إذ لاح من رسالتها أنها تراني سيئ الخلق وربما بالمعنى الشائع (قليل الأدب)...لِمَ؟؟؟لا أدري

ولم أقل لها مثلا كلمة تضايقها..

لم أقل لها شيئا أصلا

على كل حال لا أدري لِمَ لم يمسه ضيق هذه المرة,ربما تعود ذلك ممن أحبهم أو ممن ظن أنه أحبهم

وربما يأتي اليوم الذي يقتنع فيه من ساء به ظنه أنه أخطأ ولكن وقتها لن يكون هناك سبيل للإصلاح ولكنه اكتفى بعلم ربِّه به وبنيَّته .

ولكن العام قد انتهى..

وهو بإنتظار العام الجديد...ويدعو ربه أن يفوته عليه ..بلا مشاكل وبلا انشغال..ولا حيرة.

وكما هو الحال ...

صمتٌ... وطول حديث..

فأما الصمت فإذا نظرت بظاهري..

وأما طول الحديث.. لأني حويت بداخلي كل الرجال..

ويقسو على قلبي من يراني وحيدا...

ويزداد قسوة من رآني خالي البال..

ولاأذكر يوما كنت فيه هادئ البال..

ولكنها....هذه الأفكار وهذا الحديث الذي دوما يتردد بذهني..

وما أصاب مني سوي الخور والعجز ..

ولكنها أفكار تذهب وأفكار تجئ ...

وأحداث تتوالى وتتصارع فيما بينها..في أذهاننا..

ومن يعلم..!

ربما بها الخير...أكثر من ضد الخير...

وإن لم يكن فهذه هي الحياه.. تعب ومشقة..

وكما نعلم ...لا طعم للحياه إلا بالتعب ...لكنه زاد وإزداد..

زاد حتى لم نعد قادرين على حمل أتعابه..

فمنا من يهوى بمتاعبه...وتهوى متاعبه فوقه لتصرعه..

ومنّا من يناضل...وروحه تصرخ بآلامها...ولكنه يعلم أنه مصروع لا مفر..

ومنّا القوي.....

الذي يحملها بثبات...ولكن بجهد كبير..

ولكنه إن كان قويا بما يكفي فهو ليس صبوراً بما يكفي ..

فتمتلئ روحه مللاً ..

ويمتلئ صدره ضيق..

فيرمها بطول ذراعيه..ويتركها وراءه ..

ولكنه حينها يخرج من الحياة التي يعرفها الناس...

ولا يجد معه من يترك همّ الدنيا...

لأن غيره ليس وحيدا مثله...

لأن غيره يهتم لأمر آخرين في هذه الدنيا..

ويتحمل لأجلهم أضعاف ما يناهض لأجل تحمله..

لأنه ذاق حلاوة التضحية...ولو لم يقدره من يضحي لأجله حينها...

فإنه سوف يفعل يوما ما....

وعندها لايكون القوي من ظن نفسه قويا...ولكنه من صبر ..

لكنه من ضحّى لأجل من يحب..

وما أعظمها تضحية....وما أحلى أن تذوق المشقة لأجل من تحب...لأجل من لم يبخل عليك بالحنان.

ولِمَ يبخلُ به بعضنا على بعض؟...وهو النعمة الكبرى سوى العقل..

لِمَ يبخل بعضنا بالحنان على من يحتاج الحنان..؟

على البائس منا

من لا يجد صدرا يضمه ولا عينا تتقبله ولا أذنا تسمع له..

إنها لعنة البشر...على يد البشر...

إنه المنبوذ من جنة الله في الأرض..

لِمَ يبخلون بما يضّاعف بإنفاقه ولا ينفذ أبدا...؟؟

وكأني لا أجد حنانا سوى ممن خلق..سوى من الله...وحده

هو القادر على الرحمه دون غيره...مع أنه هو الأقوى...

ونحن الأضعف على الإطلاق ومع ذلك نبخل به...

يا لها من دنيا..

كان جالساً في ليلة من الليالي ودار في خياله كل ذلك .

وشعر بضيق أخذه من كل نفسه وأحس أنه يريد أن

يتكلم..ويحكي..

لطالما..أشتكى ذلك البائس ....ولم يفهمه أحد...

حاول أن يكون بليغا في كلامه....فلم يتكلم.... وفضل الصمت..

وعندما تكلم...أخرج شعراً أو نثراً...وأيضاً لم يفهمه أحد.

لندع قصتنا تنتهي....وبها ما بها..من حلو ومن مر..

أنهيها بلا نهاية....لأنها ستبدأ من جديد بلا بداية...

وستتوالى أحداث...

ومن يعلم .....!!

ربما بها خيراً أكثر من غيره .....

ربما بها راحة..وسعادة..

.....وإن لم يكن ...

فهكذا هي الحياة.

الفهرس

رقم الصفحة

مقدمة الكاتب	1
الأعمى والساقطة	3
بنت النعَّار	7
كأني بالدنيا لم أكن!	10
أصم ّ ُ أبكم	17
عشر سنوات لا تكفي!!	21
إلى متى ؟؟	26
فخفخينة	29
الحِمار وأعَز أصدقائي	34
معك دائما	37
أبيض وأسود	39
المنهوك	42
لماذا يجعلنا الحب نبدو أغبياء	48
وَسَّع مَدَاركَك	52
الأعمى والست هاله	56
إلى أين المسير يا سادة؟	62
المحجوب (قصة عاطفية)	65
الفهرس	90